

أثر الوقف على الدلالة التركيبية

د. محمد يوسف حباص
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

الناشر
دار الثقافة العربية
٣ شارع المبتديان - السيدة زينب - القاهرة

1

2

3

4

5

6

7

8

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى روح أبي

إلى الرجل الذي طالما حلم
أن يرانى أحد سدنة القرآن الكريم

مقدمة

مقدمة

تمثل البنية الصوتية من جانب والبنية التركيبية (الصرفية والنحوية) من جانب ثان لحمة وسدي النسيج اللغوي ، بحيث يعد الفصل بينهما أو التمييز على أساس الأفضلية عملاً غير علمي ، وعلى الباحث اللغوي حين يرصد تراكييب اللغة ، ويحلل الوظائف التي تقوم بها ألا يغفل بحال العناصر الأساسية (الصوتية والصرفية والنحوية) لأي تركيب . وما أكثر الاهتمام بجانب من هذه الجوانب على حساب الجوانب الأخرى في عمل جل الدارسين المحدثين في لغتنا . وتكاد تقف أهمية الدراسات الصوتية عند مجرد وصف عناصر النظام الصوتي ، والإشارة العابرة إلى أهمية قيام أي تحليل للغوي على أساس من مراعاة البنية الصوتية ، دون أن يتخطى ذلك القول حاجز التنظير والتنبيه ، وقلما نجد عملاً يعني بذلك على مستوى التطبيق الفعلي .

ولم تكن الدراسات اللغوية العربية القديمة بدعاً في ذلك ، فلا تكاد نجد عند القدماء تحليللاً للبنية الصوتية يهدف إلى خدمة البنية التركيبية بشكل واضح ، وإن كانت الدراسات الصوتية عموماً على مستوى الكم ، وربما أحياناً على مستوى الكيف لا تقل عند التناول النظري عما قدم اللغويون العرب المحدثون ، وبخاصة الذين اتصلوا بهذا اللون من الدراسة في الغرب .

غير أن القارئ لمجمل التراث الثقافي العربي القديم سيجد وعياً حقيقياً بهذه القيمة ، وتوظيفاً غير مباشر للدرس الصوتي في خدمة الدراسة التركيبية على وجه الخصوص .

ولم تقل هذه الدراسات ميداناً خصباً تتجلى فيه جوانب من البحث

المنهجي في بعض جوانب اللغة ، وبخاصة في تلك البحوث التي ليست لغوية خالصة ، مثل كتب التفسير والقراءات القرآنية ، ومعاني القرآن ، وإعرابه .

وإذا أردنا أن نؤسس لدرس لغوي ميداني ، بعد أن طال الحديث عن النظريات اللغوية والاتجاهات العلمية في بحثها قديماً وحديثاً ، فاحسب أن هذه الدراسات أقدر على أن تقدم للباحثين في اللغة العربية تصوراً أكثر دقة ، وأقرب إلى روح العمل الذي ورثناه عنهم متصلاً بنظرية اللغة من كل ما حشيت به مطولات النحو وشروحه ، التي عزلت النظام اللغوي ، وجعلته في جملة من القواعد الغريبة ، عزلته عن اللغة بوصفها آلية تفكير ، وأداة تعبير ، وطاقة إبداع .

ولو أنصف الدارسون هذا التراث ، أو أرادوا حقاً الانتفاع به ، لانتصرف الجهد العلمي المخلص إلى نصوص اللغة الحية انصرفاً يستهدف استنتاج هذه النصوص بتحليل بنيتها تحليلاً علمياً دقيقاً ومباشراً ، والوقوف على أسرار هذه البنية وفهم فحواها بدلاً من هذا الدوران حولها ، والاكتفاء بالجدل حول القواعد التي وضعوها واعتبار هذه القواعد هي اللغة التي علينا أن نتعلمها وهي المادة التي تستحق البحث والدراسة .

ولست أدعي أن كل المعالجات التي اتجهت للنصوص ذاتها .. وبخاصة النص القرآني قد أصابت هدفها في فهم هذه النصوص ، وإنما الذي أزعجه أن في قراءة هذه النصوص كثيراً من الصواب الذي يرجع إلى وهي حقيقي بأسرار النظام اللغوي - الأمر الذي يفسر لنا لماذا كان إتقان اللغة قاسماً مشتركاً بين المشتغلين بكل العلوم تقريباً .

وقد أفدت من الاتجاه هذه الوجهة في متابعة هذا التناول النصوصي عند القدماء ، والتفت إلى ظاهرة صوتية تم توظيفها تركيبياً ، وعنيت برصد أثرها على الدلالة التركيبية ، وأعني بها ظاهرة الوقف . الأمر الذي يجعل هذه الرؤية أكثر شعوراً من تلك النظرة الجزئية للظواهر الصوتية التي يقف بها كثير من الدارسين عند مجرد الرصد النظري لحسب كما سبقت الإشارة . وعلى مضمض اضطر البحث أن يلجأ إلى مدخل تاريخي لقضية الوقف ، غير أن هذا المدخل كان ذا قيمة من ناحيتين .

الناحية الأولى : أن الوقف عند القراء أنواع مختلفة ، كما سيعرض البحث ، والذي يعنيها في هذا البحث نوع واحد من هذه الأنواع . وتكاد تكون الكتابات اللغوية الحديثة عن هذه الأنواع عامة ، ومن الوقف موضوع هذه الدراسة خاصة نادرة ، أما القدماء فقد عنوا بهذه الظاهرة عناية فائقة ، وإن كانوا فصلوا القول في أنواعه ، فإن تقسيماتهم تعكس قدراً من عدم الاتفاق سواء حول الأنواع المختلفة للوقف أم مواضعه في النص القرآني . الأمر الذي يحتم التفريق بينها وتحديد ما يتصل منها بالبحث خاصة .

الناحية الثانية : أن البحث يعني بمعالجة الوقف ، وأثره على الدلالة التركيبية وهو أمر يقتضي تحديد المقصود بهذه الدلالة في ضوء أنواع الدلالات الأخرى .

وقد عني الباب الأول الذي يقع في أربعة فصول بمعالجة هذه القضية ذات البعد التاريخي في إطارها العام . وإن اتصل بعض هذا الباب باتجاه

القدماء إلى تصور العلاقات التركيبية تصوراً يتضمن توظيف الوقف والابتداء في خدمة هذه العلاقات ، وما يستتبعه من تأثير على الدلالة التركيبية .

واستكمالاً لفكرة الدلالة التركيبية عني البحث بإبراز فهم القدماء للعلاقة بين وحدات التركيب في ضوء ما أسماه البحث بنظرية التلازم بين وحدات التركيب . وهي نظرية تكشف عن ريادة حقيقية في فهم ما نعرفه بالعلاقات التركيبية Syntactic relations .

على حين كان الباب الثاني هو المحور الأساسي الذي يكشف من خلال النصوص عن أثر الوقف على الدلالة التركيبية ، قضية البحث ومهمته الحقيقية . وكان البحث حريصاً على أن يصل جهود القراء بجهود اللغويين والنحاة مع جهود المفسرين ، وهي جهود يكمل بعضها بعضاً في فهم النص وتوجيهه وتجليه المعنى موضوع البحث أو الدلالة التركيبية . وقد شغل هذا المحور التطبيقي الباب الثاني الذي تضمن ثلاثة فصول : الأول : لأثر الوقف المباشر على الدلالة التركيبية ، والثاني : لأثر الوقف مع قرينة أخرى ، والثالث : لأثر الوقف مع قرينتين فأكثر .

ولم يكن المحور التطبيقي نقلاً لنصوص القدماء في أحكام الوقف كما ركزت كتب القراءات ، ولا توجيهاً يتابع إعراب القرآن ، كما عني النحاة من هذا النص ، كما لم يكن تفسيراً لمعاني النصوص التي اختلفت على نحو ما شُرح معناها في كتب التفسير ، بل كان استنباطاً يمثل خلاصة نظرهم أو فهمهم لكل ذلك مؤلفاً توظيفاً يبرز قيمة الوقف وحده أو مع قرائن السياق المقالية الأخرى في توجيه المعنى ، وقد يجد القارئ في هذا الباب شيئاً قرأه

عند القراء ، أو شيئاً آخر قراء عند النحاة أو شيئاً ثالثاً سميع عنه مما تردده كتب التفسير أو شيئاً رابعاً عرض له البلاغيون ، ولكنه سيقطع بأن ما يقرأه لا يكون إلا ثنائياً هذه الرؤية المتكاملة لتلك المعالجات معاً ، حين يركز الباحث على ظاهرة واحدة كالوقف . وتلك هي إشكالية كل الدارسين الذين يتعرضون لبحث أي نوع من أنواع المعنى ، إن البحث في المعنى يحتاج إلى تعاون عدد من العلوم ، وذلك هو الفارق بين الباحث في جانب من جوانب الشكل منفرداً ، والباحث في قضية المعنى التي تقتضيك مع كل الجوانب الأخرى المتصلة باللغة ، وهنا يتساوى المرء ، وأي جانب ليس متصللاً باللغة في نشاط الإنسان ؟

وأحسب أن هذا البحث هو حلقة من الحلقات التي تتجه بنا إلى الفهم في أعماق التصوص ، والبحث في أسرار اللغة من داخل اللغة ، لأن ذلك أجدى للبحث العلمي من الحديث عن اللغة ، وطرح النظريات ، والجدل حول المقولات دون أن يكون لكثير منها قيمة على مستوى أداء اللغة العملي لوظيفتها ، أو الكشف عن الآلية التي تؤدي بها اللغة هذه الوظيفة .

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، محققاً الهدف الذي إليه سعيت نافعاً للدارسين الذين يبحثون عن قضايا الدلالة التركيبية ، وهي العمري من أكثر الجوانب الشائكة في الدرس اللغوي في القديم والحديث .

الباب الأول
أطر معرفية

• الفصل الأول ، المقصود بالوقف والابتداء .

الفصل الأول ؛

المقصود بالوقف والابتداء

يثير عنوان البحث في نفس قارئه سؤالين محددين .

الأول : ما المقصود بالوقف في هذه الدراسة ، في ضوء معرفتنا بأنه مصطلح خاص عند علماء القراءات ، ويطلق على أنواع عدة ؟

الثاني : أن الدلالة التركيبية عنوان لغوي يكاد يكون غامضاً ، ونسبته إلى الوقف غير المحدد أصلاً يكتف غموض العنوان ، فما المقصود إذن بالدلالة التركيبية ؟ فالدلالة أنواع ، ويكاد أن يكون المصطلح العلمي الخاص بكل نوع منها غير محدد ، بل يختلف من مدرسة لغوية لأخرى ، وربما من باحث لأخر في نفس الاتجاه العلمي .

وسوف ينصب الحديث في هذا الفصل على الإجابة عن السؤال الأول ، ما المقصود بالوقف في هذا البحث ؟

الوقف ظاهرة صوتية أدائية تصاحب الخطاب المنطوق على وجه الخصوص ، وقد شاع إطلاقه على هذه الظاهرة مرتبطاً بقراءة القرآن الكريم ، وإذا كان على الباحث اللغوي أن يصرف همه إلى معالجة قضايا اللغة عامة ، وأن ينأى عن تناول الظواهر المرتبطة بنص بعينه ، أو بمستوى لغوي محدد ، وبخاصة حين يتناول قضية لغوية أوسع غير ملقبة بنص أو مقصورة على مستوى كقضية الدلالة التركيبية ، إذا كان ذلك مهماً للباحث فإن الاستفادة من الدراسات التطبيقية التي خصصت ظاهرة في نص أو قيدتها بمستوى ، بتوسيع دائرة هذه الفائدة لما يعطي للدراسات اللغوية دفعة هي في أمس الحاجة إليها .

ولاشك أن الوقف كما سيتضح من هذا الفصل ، ومن مجمل هذا البحث من الظواهر الصوتية ذات الشأن في توجيه المعنى على مستوى التركيب ، وهو في هذا قسم الظواهر أخرى تلعب نفس الدور ، وأعني بذلك ظواهر كالتنوير والتنغيم .

وتكاد تكون هذه الظواهر الهامة مهمة على مستوى التحليل اللغوي قديماً وحديثاً على خطرها البين ، وأثرها غير المنكور على توجيه الوظيفة اللغوية للوحدات ، والتراكيب ، والمعنى الذي تؤديه .

وربما كان مفيداً أن نلقي الضوء على ثلاثة الظواهر السابقة التي تنتمي إلى صنف بعينه من الوحدات الصوتية تعرف بالقوانين فوق التركيبية *Suprasegmental phonemes* أو التطريزية *Prosodies* ، وهي وحدات صوتية تلعب دوراً هاماً في توجيه المعنى .

فالتنوير (*) *Stress* بمعنى الضغط على مقطع معين من مقاطع الكلمة ، فيعطي لهذا المقطع المنبور قدراً من التعيز أو الوضوح السمعي *Sonority* الأمر الذي قد يلعب دوراً هاماً في بعض اللغات في التمييز بين الفعل والاسم ، أو يحمل قيمة دلالية كالانفعال أو الاهتمام أو التأكيد .. الخ . هذا الفونيم فوق التركيبي لم يحفل به القدماء من العلماء العرب كما حفلوا بوحدات أخرى تشارك النور الخاصية الصوتية والوظيفية التركيبية والدلالية .

أما التنغيم (†) *Intonation* فهو نوع من الطوين الصوتي الذي يكسوه (١) انظر دراسة الصوت اللغوي ١٨٧ . ومناهج البحث في اللغة ١٩٤ ، أسس علم اللغة ١٦٠ . وانظر الدلالة الصوتية من ١٦٤ - ٢٠٤ .

(٢) دراسة الصوت اللغوي من ١٩٤ . وأسس علم اللغة ٩٢ . ومناهج البحث في اللغة ١٩٨ .

المتحدث نطقه للكلمات أو الجمل أو العبارات فتبدو هابطة النغمة أو عالية أو متوسطة أو طويلة أو قصيرة أو ليننة أو خشنة أو رقيقة أو مضغمة .. الخ ، ويكاد يكون تأثيره على المعنى قاسماً مشتركاً بين اللغات المعروفة الأمر الذي يؤثر تأثيراً مباشراً على معنى الوحدة المصحوية بنغمة سواء أكانت كلمة أم جملة .

وقد التفت العلماء العرب قديماً للظاهرة التي يطلق عليها المحدثون التنغيم^(١) ، ومنهم علماء التجويد والقراءات ، فهذا السمرقندي^(٢) يسجل تفعلاً بعض ملامح التنغيم قائلاً :

إذا ما لنفسي أو لجحد فصولها أو فعن والاستفهام مكن وعدلاً وفي غير خفض صوتها والذي بما شبيهه بمعناه فتسبه لتفضلاً كهمزة الاستفهام مع من وأن وإن وأفعل تفضيل وكيف وهل ولا

مثال ذلك ما قلت ، ويرفع الصوت بما يعلم أنها نافية وإذا خفض الصوت يعلم أنها خبرية ، وإذا جعلها بين بين يعلم أنها استفهامية ، وهذه العادة جارية في جميع الكلام وجميع الألسن^(٣) .

ويشير الدررکزي^(٤) إلى ما تسميه التنغيم إشارة يفهم من بعضها أنه يدرك قيمته ووظيفته قائلاً : قال بعض المحققين : ينبغي أن يقرأ القرآن على سبع لغات : فما جاء من أسمائه تعالى وصفاته فالمعظيم والتوقير ، وما جاء

(١) انظر الدلالة الصريحة ٢٠٤ - ٢١٢ .

(٢) هو محمد بن محمد السمرقندي ت ٧٨٠ هـ ، من علماء التجويد ، وله من المؤلفات العقد القريني من نظم التجويد ، والتجويد في التجويد . انظر : الدراسات البسيطة عن علماء التجويد ص ٦١ .

(٣) المرجع السابق ص ٦٨ . والدررکزي : حسن بن إسماعيل بن عبد الله عالم آخر من علماء التجويد ت ١٢٢٧ هـ . له مؤلفات منها : خلاصة المجاللة في بيان مراد الرسالة ، المرجع السابق نفس الصفحة .

من المفتريات عليه فبالإخفاء والترقيق ، وما جاء على ردها فبالإعلان والتفخيم ، وما جاء في نكر الجنة فبالشوق والطرب ، وما جاء في نكر النار والعذاب فبالخوف والرهبة ، وما جاء من ذكر الأوامر فبالطاعة والرغبة ، وما جاء من ذكر المناهي فبالإيابة والرهبة ^(١) .

وليس من شك في أن الإشارتين السابقتين تعكسان وعياً حقيقياً بأثر التنعيم في توجيه المعنى ، غير أن جهد هؤلاء العلماء في تناول هذه الظاهرة لم يتجاوز هذه التنبيهات التي لا تفصح عن قيمة يستفاد بها ، لأن مصطلح رفع الصوت وخفضه ، أو نعمة تعظيم أو توقيير أو إخفاء أو ترقيق أو إعلان أو تفخيم أو شوق وطرب أو خوف ورعب أو طاعة ورغبة أو إيابة ورهبة ، هي مصطلحات لقيم صوتية أدائية يفيدها التنعيم ، لكن ما كificية ذلك ، فهذا ما نقف أمامه لا يتجاوز سعيها لإدراكه مستوى الاجتهاد الذي قد يصيب ، وقد لا يفلح في إدراك شيء من حقيقة ما قصصوا .

أما أكثر الفونيمات فوق التركيبية التي عني بها القدماء عناية فائقة وبخاصة القراء وعلماء التجويد ، سواء على مستوى التنظيم أم على مستوى التطبيق فكان الوقف Juncture ، فقد بلغت عنايتهم به أن وصفوه وصفاً علمياً دقيقاً ، وأفردوا له مؤلفات كاملة ^(٢) ، وتبعوه موضعاً موضعاً على امتداد النص القرآني بعد أن عرفوا به ، وحددوا أنواعه ، وفصلوا القول في

(١) السابق ص ٥٦٩ ، وكثير من تلك دلالات يطعمها السامع من لغة الأداء ، أكثر من كونها خبائث من اللغة .

(٢) من أهمها : المكتفى في الوقف والابتداء لأبي عمرو الداني ، وإيضاح الوقف والابتداء لابن الأثيري ، والقطع والانتخاب لأبي جعفر التماس ، ومشار الهدى في الوقف والابتداء للأشموني وغيرها كثير .

أهميته في توجيه المعنى والتأثير عليه ، ولم يقف حديثهم عند مستوى التنظير بل تجاوز ذلك مرحلة رصد مواضع الوقف على امتداد النصّ القرآني إلى بيان ميداني لأثر الوقف على المعنى في كل موضع ، وهو عمل تطبيقي فريد تجاوز مرحلة تحليل المثال إلى التطبيق الكامل لأثر ظاهرة تنتمي إلى مستوى الأصوات على مستويات لغوية أخرى (مستوى التراكيب ، ومستوى الدلالة) ، ورصد قيمتها على تراكيب نصّ يأكمله هو القرآن الكريم . أهم نصوص العربية قديماً وحديثاً ، وطالما سمعنا عن قصور العلماء العرب قديماً في توظيف الدرس الصوتي في خدمة المستويات التالية (الصرف والنحو والدلالة) غير أن ما جاء به القدماء في مجال الحديث عن الوقف يعد عملاً فريداً في بابيه على مستوى المنهج ، فون أن يعني اتفاقنا الكامل مع كل ما جاءوا به في هذا الموضوع على المستويين النظري والتطبيقي معاً .

في ضوء ما سبق يبدو تجاهل ما خلفه القدماء في الحديث عن الوقف ، أو البدء من حيث انتهى المحدثون في وصف الظاهرة ، يبدو أمراً مفاجئاً للمنهجية العلمية ، وتقديماً ما جاءوا به ليس من قبيل الفاخرة والمباهاة ، ولا يهدف بحال إلى الدفاع عنهم ، ولا هو الانسحاق أمام محاولتهم دون تقديم عمل أصيل وجديد في الموضوع ، فلا بأس أن نبني عملاً جديداً على قواعد متينة لأجدادنا ، أثبتت لنا صلاحيتها وسلامتها .

مدخل تاريخي :

بدأ الاهتمام بظاهرة الوقف ميكراً ، وارتبطت في نشأتها بكل ما ارتبطت به الظواهر اللغوية من حيث أسباب العناية والاهتمام ، وهي أسباب دينية في المقام الأول ، حيث عني العرب بالنصّ القرآني من حيث لغته

وأدائه ، وتفسيره ، وفهم أحكامه .. الخ .

وقد كان الرسول ﷺ حريصاً وهو ينقل إلى أصحابه النص القرآني ، حريصاً على أن يعلمهم قواعد أداء هذا النص ، ومنها أوقافه ، وتروي أم سلمة (١) أنه عليه الصلاة والسلام ، كان يقف على رءوس الآي ، مثل (« بسم الله الرحمن الرحيم » ، ثم يقف ، « الحمد لله رب العالمين » ثم يقف ، « الرحمن الرحيم » ثم يقف .) ، وهكذا كان يؤثر القراءة عليه الصلاة والسلام حتى عدت هذه القراءة السنة المستحبة في أداء النص القرآني ، وليس يعني هذا أن آخر كل آية وقف ، بل المعول عليه في ذلك هو صحة المعنى الأمر الذي يعني أنه لا يلزم الوقف على رءوس الآي إذا أفسد المعنى ، أو فوّت الفرصة لإدراك الفكرة أو أضاع جزءاً منها .

وقد أخذ الصحابة عنه ذلك ، وعرفوا - من بين ما عرفوا - مواضع الوقف الصحيح الذي يخدم المعنى ويظهره ، وقد حكى عن ابن عمر قوله : « لقد عشنا برهة من دهرنا ، وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على النبي ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها ، وأمرها ونهاجها ، وما ينبغي أن يوقف عنده منها » وفي كلام ابن عمر كما يقول ابن الجوزي : (برهان على أن تعلمه (أي الوقف) إجماع من الصحابة رضي الله عنهم » (٢) .

وحين كان يلاحظ ﷺ أن بعض القراء يخطئون موضعاً من مواضع الوقف خطأ يترتب عليه إفساد المعنى ، كان ينبيه إلى ذلك ، وقد روى عنه

(١) انظر سنن الترمذي ٢ / ١٥٢ ، وانظر إجماع الوقف والابتداء ١ / ١٥٨ / ١٥٩ ، والنشر في

القراءات العشر ١ / ٢٢٦ .

(٢) انظر السابق ١ / ٢٢٥ .

قوله : « إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، اقرأوا ولا حرج ، ولكن لا تختصموا ذكر رحمة بعذاب ، ولا تختصموا ذكر عذاب برحمة » وفي ذلك توجيه كريم إلى ضرورة تعلم أحكام الوقف ، فحين نقرأ قوله تعالى : ﴿ يدخل من يشاء في رحمة ﴾ [الإنسان - ٢١] ، لا ينبغي أن نقول (والظالمين) لأنه منقطع مما قبله : « لأنه منصوب بإضمار فعل ، أي ويعذب الظالمين ، أو أورد الظالمين » (١) .

ويحكى أن رجلين جاءا إلى رسول الله ﷺ ، فتشهد أحدهما فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما (ثم وقف) . فقال رسول الله ﷺ : بنس الخطيب أنت فقم ، كان ينبغي أن تصل كلامك ، (ومن يعصهما فقد غوي) أو تقف على (رسوله فقد رشد) (٢) .

ويروى عن معاوية قوله : « إني شهدت رسول الله ﷺ أملى علي علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتاباً ، وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصرم صريمته » ثم يروى فيقول : « وقال الأحنف بن قيس : ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ، ولا عرف حدوده إلا عمرو بن العاص رضي الله عنه ، كان إذا تكلم تفقد مقاطع الكلام ، وأعطى حق المقام ، وخص في استخراج المعنى بالطف مخرج ، حتى كان يقف عند المقطع وقوفاً يحول بينه وبين تبعية من الألفاظ » (٣) .

وقد سئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن قول الله (عز وجل) :

(١) القطع والاشتاف ٨٨ .

(٢) السابق من ٨٨ .

(٣) انظر السامع ١٣٨ ، ومقدمة إرشاد الوقف ٢٢ / ٢٤ .

﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ [النساء - ١٤١] . وقد رأينا الكافر يقتل المؤمن ، فقال عليّ (رضي الله عنه) : اقرأ ما قبلها : ﴿قاله يحكم بينكم يوم القيامة ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ فلما وصل الكلام بأن المعنى يعرف المشكل^(١) .

ثم تابع الصحابة ذلك ، وحرص التابعون أن يسجلوا تلك المواضع التي عليهم أن يقفوا عليها عند قراءة القرآن ، كما تجلّى هذا الحرص في عمل القراء السبعة . فنافع كان يراعي مجاسن الوقف والابتداء بحسب المعنى ، على حين كان ابن كثير يقف حيث ينقطع نفسه ، أما أبو عمرو فكان يعتمد الوقوف على رءوس الآي ، ويرى عنه أنه كان يراعي حسن الابتداء ، كما روي عنه أنه كان يراعي حسن الوقوف ، أما عاصم والكسائي ، فكانا يطلبان الوقف من حيث يتم الكلام ، أما حمزة فكان يقرأ حيث ينقطع النفس^(٢) .

مما سبق يتبين أن العناية بالوقف بدأت مبكرة ، وأنها جاءت ابتداءً توقيفية عن رسول الله ﷺ من منطلق الحرص على سلامة المعنى . ثم تبعه في ذلك الصحابة والتابعون والقراء السبعة .

الوقف عند علماء القراءات :

حين أسس لعهد من العلوم التي استهدفت خدمة النصّ القرآني وظهر العلماء المتخصصون ، وجدنا لقراءة القرآن علماً له رجاله الذين يعنون

(١) السابق ٩٣ .

(٢) انظر النشر ١ / ٢٢٨ .

بتحقيق مسائل هذا العلم وتعيينها ، ومن بين المسائل التي عولجت معالجة دقيقة قضية الوقف والابتداء .

ويطرق العلماء بين أمرين في معالجة هذه المسألة :

الأمر الأول : كيفية الوقف وكيفية الابتداء ، حيث حددوا كميّات الوقف أو ما يوقف به في تسعة أشكال هي :

الوقف بالسكون ، والروم ، والإشعام ، والإبدال ، والنقل ، والإدغام والحذف والإثبات والإلحاق ^(١) ، ويتعلق بما يبدأ به حديثهم من هيئة الوصل .

أما طريقة كتابة ما يوقف عليه فيتأثر بالوقف وفقاً لخط المصحف العثماني ، وتكون النتيجة المترتبة على الوقف أن يخالف المكتوب المنطوق بالفعل إما بزيادة أو حذف أو إبدال أو فصل أو وصل ^(٢) .

والبحث الذي بين أيدينا لا يعني بهذا الأمر قلا يدخل فيه أمر ما يوقف به ، ولا بكيف يوقف وكيف يبدأ .

الأمر الثاني : الذي عالجه العلماء تحت عنوان الوقف والابتداء هو : المواضع التي يوقف عليها ، والمواضع التي يبدأ بها ، وهذا الأمر هو محور هذه الدراسة الأساسي . في ضوء ما سبق يجمل أن يحدد البحث مفهوم هذا الوقف .

(١) انظر السبيل ٢ / ١٢٠ وما بعدها ، وانظر عرضاً لنا يوقف به روائي لأستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس في ذلك ، من أبحار اللغة ص ٢٢٦ وما بعدها .
(٢) انظر النشر ٢ / ١٢٨ وما بعدها .

مفهوم الوقف :

الوقف لغة : الكفّ عن الفعل والقول ، واصطلاحاً : قطع الصوت آخر الكلمة زمنياً ما ، أو هو : قطع الكلمة عما بعدها ، ويغرق علماء القراءات هنا بين ثلاثة مصطلحات متقاربة هي : القطع ، والوقف ، والسكت .

وعلى الرغم من أنها جميعاً تدور حول معنى قطع الصوت زمنياً ما ، فإن الفروق بينها تبدو في أمرين فنيين : الأول : مدة القطع ، والثاني القصد منه .

وهذا بيان بما يقصدونه من هذه المصطلحات :

١ - القطع : هو كفّ تام عن القراءة ، فهو كالانتهاء ، والقارئ به كالمعرض عن القراءة والمنقلب منها إلى حالة أخرى سوى القراءة ، فمن حيث الزمن مع القطع فهو ممتد بعده بلا قيد ؛ لأن القارئ يقطع القراءة ، ويتوقف تماماً ، كالذي يقطع على حزب أو ورد ، أو عشر ، أو في ركعة ثم يركع أو نحو ذلك ، معاً يؤذن بانقضاء القراءة ، والانتقال منها إلى حالة أخرى ، وإذا أريد استئناف القراءة مرة أخرى اقتضى ذلك الاستعاذة ، وعنه ندرك أن قصد القارئ من القطع هو التوقف وعدم الاستمرار في القراءة .

أما الوقف : فهو عبارة عن قطع الصوت على الكلمة زمنياً يتنفس فيه القارئ عادة بنية استئناف القراءة - فمن حيث الزمن يستغرق الوقف وقتاً يسمح بالتنفس ، ويكون ذلك على ريس الأبي أو أوسطها ، ولا يكون في وسط الكلمة ، ولا فيما اتصل رسماً من الكلمات ، ومن حيث القصد ، فإن القارئ يقف لا بنية الإعراض وعدم الاستمرار في القراءة ، بل بنية الاستراحة التي تسمح له بالتنفس ، والعودة مباشرة لاستئناف القراءة .

كان يقرأ القارئ قوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾ ثم يقف ﴿ ما ودهك ربك وما قلبى ﴾ ثم يقف ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ ثم يقف . وهكذا إلى آخر ما يريد قراءته .

أما السكت : فهو عبارة عن قطع الصوت زمناً دون زمن الوقف عادة من غير تنفس . فنقول فرق إذن بين الوقف والسكت هو في مدة القطع ، فهو في السكت أقل مدة من الوقف ، ومن أجل هذا أطلق عليه : وقفة ، وقد يسمى وقفة يسيرة ، أو سكتة لطيفة ^(١) . أما الفرق الثاني فهو التنفس مع الوقف وعدم التنفس مع السكت ، وهو فرق تعارف عليه جمهور القراء ، ولكن دون إجماع على ذلك . وأخيراً يتفق الوقف والسكت في خاصية واحدة هي ثبة استئناف القراءة خلافاً للقطع الذي يقصد منه التوقف التام مع عدم ثبة الاستئناف .

والوقف بالتحديد السابق ، من دون المصطلحين الآخرين ، هو وحدة المقصود الذي ينصب عليه هذا البحث وتستهدفه تلك الدراسة .

وإيس الوقف بالتحديد السابق إجراءً يقوم به القارئ كما يحلوه ، بل هو عمل يخضع لضوابط وقواعد دقيقة ، وله أحكامه الصارمة التي حذرها علماء القراءات ، بأن يبينوا مواضع الوقف وأثره وقيمه ، وهو مرتبط عندهم أساساً بالمعنى ، فالمعول عليه عندهم في إجازة الوقف وعدم إجازته هو سلامة المعنى أو فساده .

(١) راجع النشر ١ / ٢٢٩ ، ومزار الهمداني ٨ ، والقصد للتفصيل ما في المرحمة من ٤ ، والحرشي الأزهريه من ٤٠ ، ٤١ ، والمنهج الفكريه من ٥٧ .

الفصل الثاني

انواع الوقف والابتداء

الفصل الثاني :

أنواع الوقف والابتداء

إن حديث علماء الوقف والابتداء عن أنواعهما يبدو عليه الاختلاف أكثر مما يشعرنا بوجود قدر من الاتفاق ، وقد رجعت إلى أمهات الكتب التي عثيت بهذا الموضوع ، وقمت بتتبع التقسيمات الكلية التي يقترحون من الاتفاق عليها ، ونحيت جانباً تلك التي يحتكم حولها الخلاف ، فوجدت أنهم جميعاً يفرقون بين قسمين من الوقف .

الأول : الوقف الاختياري ، وهو وقف يجوز للقارئ أن يوقف حيث حيدوا ، ويجوز تبعاً لذلك ألا يوقف .

والثاني : الوقف الاضطراري ، وهو وقف لا يجوز للقارئ أن يوقف في موضع من المواضع التي منعوا الوقف عليها اضطرارياً إلا لضرورة من انقطاع نفس ونصوه ؛ لأنه إما ألا يكون هناك فائدة من الوقف أو لأن المعنى يفسد به .

والأنواع التي تدرج تحت هذين القسمين حولها خلاف كثير ، وأكثر ما ذكر الناس من أقسامه غير منضبط ولا منحصر ،^(١) فبعضهم يجعل الوقف نوعين فقط : تام وقبيح ، وبعضهم يجعله ثلاثة : تام مختار ، وكاف جائز ، وقبيح متروك ، وبعضهم يجعله أربعة أقسام : تام مختار ، وكاف جائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك ، وبعضهم جعله خمسة أقسام : لازم ، ومطلق ، وجائز ، وحسن مفهوم ، وقبيح متروك .

وبعضهم جعله خمسة أقسام : لازم ، ومطلق ، وجائز ، ومجوز لوجه .

ومرخص ضرورة ، ومنهم من جعله ثمانية أقسام : تام وشبيه ، وناقص وشبيه ، وحسن وشبيه ، وقبيح وشبيه ، وآخرون يجعلون للأقسام الثمانية الأخيرة مسميات أخرى هي : تام ، حسن ، كاف ، صالح ، مفهوم ، جائز ، بيان ، قبيح^(١) .

وليس التقسيمات السابقة على درجة واحدة من الشيوخ بين العلماء . وليست كذلك على مستوى واحد من القبول ، بل منها المشهور الذي اعتد به العلماء ، ومنها الذي لم يتجاوز تصنيف صاحبه ، ولم يجد إلى علم العلماء ومصنفاتهم سبيلاً . ويكاد يتحصر خلاف المحققين من العلماء في هذا الفن حول تقسيمين :

التقسيم الأول : أنواع الوقف أربعة : تام ، كاف ، حسن ، قبيح . وهذا هو أشهر التقسيمات ، وأكثرها قبولاً لدى جمهرة العلماء والقرّاء .

التقسيم الثاني : أنواع الوقف ثلاثة : تام ، حسن ، قبيح ، وهو تقسيم أقل من السابق شهرة واستحساناً بين الدارسين .

وسوف أقدم تحديداً لكل نوع ثم أبدي رأيي في التقسيم الذي أرتضيه معللاً لاختياري ، وذلك نظراً لما يتوقّب على ذلك من نتائج في عملية التحليل اللغوي للمادة ، وتوجيه المعنى تبعاً لذلك .

أما عن التقسيم الأول ، أو التقسيم الرباعي لأنواع الوقف ، فهذا بيان بأنواعه :

١ - الوقف التام : ما يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، ولا يتصل ما بعده بما قبله لا في اللفظ ولا في المعنى^(٢) .

(١) راجع في هذا جنار الهدى ص ٨ ، والمصدر لطيف ما في المرشد ص ٦ ، ٥ .

(٢) انظر : المكتفى ١٤٠ ، ومنتار الهدى ٩٠ ، ٩ ، والنشر ٢٢٦ .

ومن أمثلته ما يلي :

- ١- قول الحق سبحانه : ﴿ وَأَرْسَلْنَا هَمَّ الْفَلْحُونَ ﴾ [البقرة ٦٠] ، والابتداء بقوله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [البقرة ٦١] .
- ٢- ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه : ﴿ وَهُوَ يَكُلُّ شِمَاءَ عَلِيمٍ ﴾ [البقرة ٦٤] والابتداء بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأُتْكَ ﴾ [البقرة ٢٠] .
- ٣- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة ٤٦] والابتداء بقوله : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ ﴾ [البقرة ٤٧] .

وقد حدد العلماء علامات لمعرفة الوقت التام منها :

أن يكون عند انتهاء قصة ، وآخر كل سورة ، والابتداء بالاستفهام ملفوظاً أو مقدراً ، أو بيا النداء غالباً ، أو بفعل الأمر ، أو بلام القسم ، أو الابتداء بالشرط ، أو الفصل بين آية عذاب وآية رحمة ، أو العدول عن الإخبار إلى الحكاية ، أو الفصل بين الصنفين المتضادين ، أو تناهي الاستفهام ، أو تناهي القوم ، أو الابتداء بالنفي والنهي ^(١) . وعندهم جميعاً أن الوقت قد يكون تاماً على تفسير وإعراب وقراءة ، غير تام على آخر ، وهو ما سيظهر جلياً عند تحليل الأمثلة فيما بعد .

- ٢- **الوقف الكسافي** : وهو الذي يحسن الوقت عليه ، والابتداء بما بعده ، غير أن الذي بعده متعلق بما قبله من جهة المعنى دون اللفظ ، فهو منقطع لفظياً متصل معني ، وسعي كالمياً لاكتفائه ، واستغنائه عما بعده ، واستغناء ما بعده عنه ، بأن لا يكون مقيداً له ^(٢) .

(١) المكتفي ١٤٠ ، ومعار الهدى ١٠ / ٦٦ .

(٢) انظر المكتفي ص ١٤٣ ، ومعار الهدى ص ٦٦ ، والنشر ٢٢٦ / ٢٢٨ .

ومن أمثلة الوقف الكافي ما يلي :

- ١- قول الحق سبحانه : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ [النساء ٢٣] والابتداء بما بعد ذلك في الآية كلها ؛ لأن فيه من يشاركون الأمهات في الحرمة .
- ٢- ومنه أيضاً قول الحق سبحانه : ﴿ اليوم أحل لكم الطيبات ﴾ [البقرة ١٧٠] والابتداء بما بعد ذلك ؛ لأنه كله معطوف يعمل بعض التفصيل لما أحل .
- ٣- ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ [الانفطار ١] والابتداء بما بعد ذلك إذ كله معطوف يشارك ما قبله الحكم ، وهو الشرط والطريقة .

وكما حدد العلماء علامات يستدل بها على الوقف التام ، رصدها كذلك علامات يستدل بها على الوقف الكافي ، ومنها : أن يكون ما بعده مبتدأ أو فعلاً مستأنفاً أو مفعولاً لفعل محذوف نحو وعد الله ، وسنة الله ، أو يكون ما بعده تلياً أو إن المكسورة أو استفهاماً ، أو بل ، أو ألا المخففة ، أو السين أو سوف .

- ٣- الوقف الحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ؛ لتعلقه به من جهة اللفظ والمعنى جميعاً^(١) ومن أمثله ما يلي :

(١) انظر المكتبي ١٤٥ ، والمقصد من ٢٧ . وبتار الهدى من ١٠ ، وقد جاء في تبار الهدى أن الوقف الحسن « لا يتصل ما بعده بما قبله معنى » ويتصل لفظاً « وهو كلام واضح الظل إذ يستعمل أن يتصل الكلام لفظاً ولا يتصل معنى بهما ، لأن المقصود بالتعلق اللفظي التعلق من جهة الإعراب ، كان يكون معطوفاً أو سقفاً أو بدلاً أو حالاً أو تركيذاً أو نحو ذلك . ويبدو أن الاشتعالي فهم كلام ابن الجوزي خطأ حين فكر الأخير في منطوقته الشهيرة :
 ما التام فالكافي والفتا فاستغن
 إلا رحمن الهمي جوراً فالحسن
 فقد تصور أن قوله لفظاً يعني أن يتعلق ما بعد الوقف لفظاً فقط دون المعنى على حين أنه يلزم من تعلق اللفظ أن يتعلق معه المعنى بالضرورة ، انظر حواشي الشيخ خالد ص ٤١ ، وانظر للنجف الكثرية ص ٥٨ .

- ١- قول الحق سبحانه : (الحمد لله رب العالمين) [الثالثة ١] ثم تقف .
 - ٢- قول الحق سبحانه : (الرحمن الرحيم) [الثالثة ٢] ثم تقف .
 - ٣- قول الحق سبحانه : (مالك يوم الدين) [الثالثة ٣] ثم تقف .
- فهذه أوقفات حسنة لأن المراد مفهوم « ولكن الابتداء » بقوله : (رب العالمين) أو (الرحمن الرحيم) أو (مالك يوم الدين) لا يحسن ؛ لأن ذلك مجرور والابتداء بالجور قبيح لأنه تابع لما قبله ^(١) .
- ومن علامات الوقف الحسن ، أن يكون فاصلاً بين كلامين من متكلمين أو من متكلم واحد مثل : ﴿ لن الملك اليوم ﴾ وقف حسن ﴿ لله الواحد القهار ﴾ ومثل : ﴿ إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم ﴾ وقف حسن ﴿ رسول الله ﴾ وأكثر ما يقع بين المعطولين ، وعلى رءوس الأبي ، وما بعده مستثنى أو بدل أو نعت أو حال أو تأكيد لما قبله أو نحو ذلك من صور التعلق اللفظي التي سيشير إليها البحث في مبحث نظرية التلازم في الفصل الرابع .
- ٤- الوقف القبيح : هو ما يقع في موضع اشتد تعلق ما بعده بما قبله في اللفظ والمعنى جميعاً ، ويترتب عليه : إما ألا يفهم المراد من الكلام ، وهذا هو القبيح ، أو يفسد المعنى بسبب هذا الوقف ، وهذا هو الأتبع .
- ومن أمثلة القبيح :
- أن يقرأ القارئ فيقول : (بسم ، ثم يقف حتى يصل إلى (مالك) ثم يقف ، إلى أن يصل إلى (رب) ثم يقف فاصلاً بذلك بين المضاف والمضاف إليه .

(١) انظر المكتبي ١٤٥ .

ومن أمثلة الأتبع مما سبق :

- الوقف على قول الحق سبحانه : (إن الله لا يستحي) ثم يقف .
 - أو الوقف على قول الحق سبحانه : (قول للمصلين) ثم يقف .
 - أو الوقف على قول الحق سبحانه : (ولا تقريرا للصلاة) ثم يقف .
- وهما يومهم بغير المقصود الوقف على الكلام المنفصل الخارج عن حكم ما وصل به مثل قول الحق سبحانه : ﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى ﴾ ثم يقف . وهو ما يومهم أن الموتى يستجيبون .
- ومنه قراءة قول الحق سبحانه : ﴿ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ﴾ ثم يقف . وهو ما يومهم أن الذين كفروا وكذبوا يدخلون ضمن من وعدهم الله بالمغفرة ويشاركونهم الجزاء بالأجر العظيم .
 - ومن ذلك أيضاً قراءة قوله تعالى : ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له ﴾ ثم يقف وهو ما يومهم أن الذين لم يستجيبوا لهم أيضاً جزاء (الحسنى) .
 - ومن ذلك أيضاً قراءة قوله تعالى : ﴿ من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل ﴾ ثم يقف ، وهو ما يومهم أن من يضلل مهتد أيضاً .
 - ومن ذلك أيضاً قراءة قوله تعالى : ﴿ فإن أسمعوا فقد اهتدوا ، وإن تولوا ﴾ ثم يقف ، وهو ما يومهم أن من تولوا مهتدون .
 - ومن ذلك أخيراً قراءة قول الحق : ﴿ فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني ﴾

ثم يقف بما يؤهم أن العاصي كالطبيع من حيث علاقته بالله والرسول .
فذلك كله من الوقف القبيح لأنه جليّ الفساد ، حيث يجعل القارئ اللاحق
مشاركاً السابق في الحكم ، علماً بأن اللاحق خارج عن حكم الأول من جهة
المعنى (١) .

مما سبق يتبين أن شمة تقارباً بين الوقف التام والكافي ، من حيث جواز
الابتداء بما بعدهما ، على حين يتقارب الوقف الحسن والقبيح ، من حيث عدم
جواز الابتداء بما بعدهما .

وعلى حين يستقل التام عن الكافي من حيث انعدام التعلق لفظاً ومعنى
بين ما قبل الوقف وما بعده في التام ، على حين تجد تعلقاً من جهة المعنى
فقط في الكافي .

كما يلاحظ أن التعلق اللفظي والمعنوي بين ما قبل الوقف وما بعده
موجودان في الوقفين الحسن والقبيح ، ويحصر الفرق بينهما في : إذا فهم
المراد مع الوقف الذي تعلق ما قبله بما بعده لفظاً ومعنى ، فهو حسن ، وإذا
لم يفهم المراد مع الوقف الذي تعلق ما قبله بما بعده لفظاً ومعنى أو لمسد
المعنى فهو الوقف القبيح .

والتقسيم الرباعي الذي سبق طرحه هو أشهر التقسيمات المتداولة لأنواع
الوقف بين المحققين من علماء القراءات .

أما التقسيم الثلاثي ، وهو كما سبق القول أقل شهرة من السابق فهو :

١ - الوقف التام : وهو الذي يحسن الوقف عليه ، والابتداء بما بعده ، ولا

(١) انظر المكتبي ١٤٨ ، ومنار الهدى ١٢ .

يكون بعده ما يتعلق به كقوله تعالى : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ [البقرة : ١٩٥] فهذا وقف تام ، لأنه يحسن أن تقف على (المفلحين) ويحسن الابتداء بقوله : ﴿ إن الذين كفروا ... ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

٢- الوقف الحسن : هو الذي يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده ، كقوله تعالى : (الحمد لله) الوقف على هذا حسن لأنك إذا قلت (الحمد لله) عُلِّلَ عنك ما أردت ، وليس يتام لأنك إذا ابتدأت (رب العالمين) (الفاتحة ٢) قُبِحَ الابتداء بالخفوض .

٣- الوقف القبيح : وهو الذي ليس يتام ولا حسن كقوله تعالى : (بسم الله) الوقف على (بسم) قبيح ؛ لأنه لا يعلم إلى أي شيء أضفته ، وكذلك الوقف على (مالك) والابتداء (يوم الدين) قبيح . ويقاس على ذلك كل ما يشاكله مما لا يفهم منه المراد ، أو يفسد به المعنى لأنه يوهن بغير المقصود^(١) .

تعليق على التقسيمين الخالفين :

من متابعة أنواع الوقف عند كل فريق من الفريقين وقيود هذه الأنواع التي تميزها من سواها نجد أن ثمة عدداً من الملاحظات التي يجب تسجيلها وذلك على النحو التالي :

١- أن أنصار التقسيم الرباعي قد ميزوا الوقف التام بأنه (الوقف الذي يمكن الابتداء بما بعده ، ولا يتعلق ما قبله بما بعده لا في اللفظ ولا في المعنى)^(٢) .

(١) انظر إرشاد الوقف والابتداء ١١٩ / ١٥٠ .

(٢) راجع المكلفي ١٤٠ ، والنشر ٢٢٦ . ومثار الهدى ٩ / ١٠٠ والمقصد ٦ .

وهند تغليب أمثلتهم وتدقيق النظر في انطباق هذه القيود عليها يتبين أن كثيراً منها لا تستوفي هذه الشروط الصارمة .

ففي أكثر هذه الأمثلة يتعلق ما قبل الوقف بما بعده في المعنى ، وتلك بعض أمثلتهم التي ساقوها للتشيل لما سموه بالوقف التام .

المثال الأول : في قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وجعلوا أعزة أهلها أذلة ﴾ [النحل ٢١] هذا وقف تام عندهم ؛ لأنه آخر كلام بلقيس ، وأتم منه ﴿ وكذلك يفعلون ﴾ ، وهو كلام يتعلق لا مشاحة بما قبله في المعنى ، إذ هو مسوق لبيان أن الفعل السابق هو طبع معروف عنهم ، وجبلة معهودة فيهم ، وفعل مكرور متهم .

المثال الثاني : في قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني ﴾ [الفرقان ٢٩] هذا وقف تام عندهم ، لأنه آخر كلام الظالم أبي بن خلف ، وأتم منه : ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذلاً ﴾ هذه نتيجة حتمية كانت غائية عن أبي ، ولكتها العبرة المستهدفة التي سيق من أجلها الكلام ، ليعتبر اللاحق بتجربة السابق ، بحيث يدرك أن فعل أبي نط من السلوك ، ينطبق عليه القانون العام بصرف النظر عن المكان والزمان والشخص ، يغوي الشيطان فيسقط بعض الناس في الغواية ، ثم يخذلهم الغاري ، شأنه أبدأ مع ضعاف النفوس ، وهي قصة (قصة أبي) نموذج لكل قصة مماثلة ، ويلاحظ هنا الصلة الدلالية القوية بين ما قبل الوقف وما بعده ، فمرفوع أضل (قبل الوقف) هو نفسه في المعنى مرفوع (خذلاً) بعد الوقف وهو الشيطان في الحالتين ، وهو أمر يؤكد الصلة الدلالية الصميعة بين ما قبل الوقف وما بعده .

والمثال الثالث : هو قول الحق جل شئته : ﴿ وَإِنكُم لَتَصْرُونَ عَلَيْهِمْ مَصِيبِينَ ﴾ وبالليل [المائدة ١٣٧ / ١٣٨] فهذا عندهم وقف تام ، لأن بالليل معطوف على المعنى ، أى تصرون عليهم بالصبح وبالليل . وأتم منه (أفلا تعقلون) لأنه آخر القصة ، وهو ختام للتنبيه بقصد التدبير من المصير المحتوم الذى لا يغيب عن العقلاء ، وهو ختام متعلق قطعاً بما أسس عليه وإلا فأتى شيء يدعورهم لعقله ؟ فليس المعنى فى (أفلا تعقلون) منفصلاً عما قبله كما هو واضح .

وقد تنبه إلى ما أذهب إليه من أن كثيراً من التام عند أنصار التقسيم الرباعى يكون كالكافى من حيث تعلق ما قبل الوقف بما بعده فى المعنى . تنبه إلى ذلك أبو عمرو الداني أحد علماء القراءات والوقف والابتداء المبرزين ، فيها هو يقول نصاً : ﴿ وقد يكون التام أحياناً فى درجة الكافى من جهة تعلق الكلام من طريق المعنى لا من طريق اللفظ ، وذلك نحو قوله : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [الكهف] هذا تمام ثم تبتدىء بقوله : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ [نفس الآية] لأن ما بعده مستقن عنه .

وكذلك الوقف على قوله : ﴿ وَلَا لَأَبَاسُ لَهُمْ ﴾ [الكهف] تمام أيضاً ، ثم تبتدىء بقوله : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [نفس الآية] . وهي مقالتهم ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [الكهف] .

وكذلك ما أشبهه مما يتم الوقف عليه بإجماع من أهل التأويل ، وأصحاب التمام لانقضاء الكلام عنده واستغناء ما بعده عنه ، وما بعده منه أو من سببه من جهة المعنى فهو بذلك فى درجة الكافى وبالله التوفيق ، (١) .

(١) انظر المكثف ١٤٧

وهنا يسقط الفرق الجوهرى بين كل من التام من جانب والكافى من جانب آخر ، ذلك الفرق الذى وضعه أنصار التقسيم الرباعى . هذا القيد هو وجود التعلق بين ما قبل الوقف وما بعده فى المعنى مع الكافى وعدم وجوده مع التام . إذ إن أكثر أمثلة التام عندهم يمكن أن تلحق الصلة الدلالية بين ما قبل الوقف وما بعده .

والرأى عتدى أن تبقى على القيد الأول من التعريف ، وهو أن التام والكافى يشتركان فى جواز الوقف عليهما والابتداء بما بعدهما ، وهو قيد يعينهما ، من الوقفين الحسن والقيبح ثم نبحت عن ملمح فارق بين كل من التام والكافى . وقد تبين من استقراء نماذج التام ، والكافى عندهم أنهم يفرقون بين درجات من التمام ودرجات من الكفاية على النحو التالي :

كافٍ ————— أكفى ————— تام ————— أتم

وهي درجات تعكس قسراً من التعلق الدلالي ، بحيث تبدأ أقوى درجات التعلق المعنوي فقط بين ما قبل الوقف وما بعده مع الوقف الكافى ، وتقل درجة التعلق الدلالي فيكون الوقف أكفى ، ثم تقل إلى أقل درجات التعلق الدلالي مع الوقف التام ، ثم تنقطع الصلة الدلالية تماماً بين ما قبل الوقف وما بعده فى الوقف الأتم أو تكاد أن تكون كذلك .
وتلك أمثلة توضح ذلك :

- فمن الوقف الكافى قوله تعالى : ﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ .
- وأكفى منه قوله تعالى : ﴿ فزادهم الله مرضاً ﴾ .
- وأكفى منهما قوله تعالى : ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ .

تلك أوقاف كافية متدرجة في درجة التعلق الدلالي من الأكثر تعلقاً إلى الأقل تعلقاً .

وقد سبق تقديم ثلاثة أمثلة للوقف التام والأتم من قبل . وفيها تبين أن التام فيه بعض التعلق المعنوي على حين تنقطع الصلة الدلالية أو تكاد مع الوقف الأتم .

معاً سبق يمكن القول : إن تعريف الوقف التام عند أنصار التقسيم الرباعي لا يتطابق إلا على الوقف الأتم فقط ^(١) ، أما بقية الأوقاف : كاف ، أكفى ، تام فكلها مما ينطبق عليه التعريف الخاص بالوقف الكافي . فالمقضية في النهاية ليست في التعريف ، وإنما في التطبيق ، فحين نقول كتب الوقف والابتداء سنجد التعريفات في كثير من الأحيان محكمة ، والتطبيقات مضطربة ، وربما قيل إن هذا راجع لاعتبارات أخرى ، وقد سبق نقل قولهم المحكم إن الوقف قد يكون تاماً على إعراب وتفسير وقراءة ، غير تام على أخرى . وهو حكم صائب تماماً ، ولكننا بتضييق مفهوم (التام) لينحصر فيما يقابل عندهم الأتم ، وتوسيع دائرة الكافي ليشمل الكافي والأكفى والتام (الذي فيه تعلق) يمكن إلى حدٍ غير قليل تحاشي كثير من الاضطراب الظاهر في الحكم على الوقف بالتام أو الكفاية .

٢- أما عن التقسيم الثلاثي إلى تام وحسن قبيح : فقد قيد التام بعدم وجود

(١) ومن المواضع التي يظهر فيها الأتم بالمفهوم السابق ، آخر كل قصة ، وما قبل أوامها وأخر كل سورة ، والأجزاء والانتصاف والأربع ، والأثمان والانبعاث والانتساع والأعشار والأشماس ، وقبل بناء الضياء ، وفعل الأمر ، والقسم ولابه دون القول ، و (والله) بعد رأس كل آية ، والشرط ما لم يتقيد جوابه ، و (كان الله) ، و (ذلك) و (لولا) غالبية تام ما لم يتقيد حين قسم أو قول أو ما في معناه . انظر البرهان ١ / ٢٥٩ .

تعلق بين ما قبل الوقف وما بعده ، وقد تأكد لنا مما سبق أن كثيراً من التام فيه تعلق .

ولكن يجعل أن نقدم مثلاً يدعم عدم انطباق قيد تعريف أنصار الثلاثي للوقف التام على الأمثلة التي قدموها له . فهذا ابن الأنباري صاحب التقسيم نفسه يقول :

« والوقف على ﴿ أو نصارى تهتدوا ﴾ [البقرة: ١٣٠] تام ، وكذلك الوقف على ﴿ وما كان من المشركين ﴾ ، والوقف على قوله ﴿ وهو السميع العليم ﴾ [١٣٢] تام (١) .

وهذا كلام أبي جعفر النحاس في القطع على هذه الأوقاف . ﴿ وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا ﴾ [١٣٠] قال الأخفش : وهذا التام ، قال أبو جعفر : هذا على مذهب سيبويه ليس بتام ، وله فيه قول حسن ، وذلك أنه لما قيل لهم : كونوا هوداً أو نصارى ، فكأنه قيل : اتبعوا اليهودية أو النصرانية ، فقالوا : بل نتبع ملة إبراهيم ، فبعض الكلام مربوط ببعض ، فلماذا لم يكن ما قبله تاماً ، ومذهب الكسائي : أن التقدير : بل يكون أهل ملة إبراهيم ، مثل : ﴿ واسأل القرية ﴾ فعلى هذا أيضاً لا يكون ما قبله تاماً ، وقال أبو عبيد : ﴿ حلة إبراهيم ﴾ [١٣٠] إغراء فعلى هذا القول يكون الوقف على ما قبله كافياً ، حقيقاً [١٣٥] قطع كافٍ ، ﴿ وما كان من المشركين ﴾ [١٣٥] وقف حسن ، ثم الوقف ونحن له مسلمون (٢) .

فالوقف على (تهتدوا) ليس تاماً كما زعم ابن الأنباري بدليل ما ذهب

(١) إيشاج الوقف ١ / ٥٢٤ ، والمكتفي ١٧٦ .

(٢) انظر القطع والاشتقاق ١٦٥ ، وانظر الكتاب ١ / ١٣٠ .

إليه آخرون من كونه كافياً أو حسناً ، وفيه تعلق بين ما قبله وما بعده كما ذهب إلى ذلك سيبويه والكسائي وأبو عبيدة ، وكذلك الوقف (من المشتركين) ليس تاماً كذلك كما في القطع ، أما الوقف على «وعو السميع العليم» فهو تام على معنى ، غير تام على معنى آخر (١) .

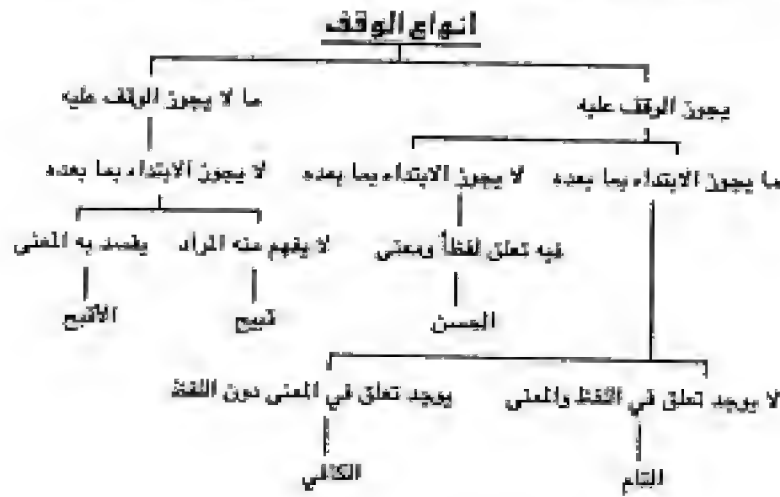
مما سبق يتبين أن أنصار التقسيم الثلاثي قد جعلوا التام والكافي معاً تحت مصطلح التام ، وتبينوه بعدم التعلق ، وهو قيد ينحصر واقع الأمثلة التي قدموها ، إذ عدم وجود التعلق قيد صعب لا يكاد ينطبق إلا على أمثلة قليلة في كل النص القرآني .

٣- أما الملاحظة الأخيرة في هذا التعليق فهو في تلك العلامات التي وضعت للوقف التام والكافي والحسن والقبيح ، وهي علامات مضطلة وغير دقيقة ، ويمكن تقديم مئات الأمثلة التي تدحض ذلك ، فإذا كان علماء الوقف يختلفون كثيراً حول موضع بعينه ما بين تام ، وكاف ، وحسن ، وما أندر ما اتفقوا بإجماع على نوع الوقف في موضع معين ، فكيف يتأتى لنا أن نضع علامات محددة لما يلي الوقف من وحدات لغوية ؟ فما يمكن أن يأتي من وحدات تالياً للوقف التام يمكن أن يأتي أيضاً مع الكافي ، ويمكن أن يأتي أغلب ما يلي الكافي بعد الوقف الحسن ، فالمبتدأ يمكن أن يلي الوقف التام ، ويمكن أن يلي الوقف الكافي ، كما يمكن أن يكون ما قبله وقبل حسن إذا كانت الجملة متعلقة بما قبلها ، خبراً مثلاً أو نعتاً ، وما يقال عن المبتدأ يمكن أن يقال على علامات كثيرة مما أورده مثل إن المكسورة ، وياء النداء .. الخ . ومن الدقة العلمية عدم وضع

(١) انظر القطيع ١٧٧ ، وانظر مشكل الإعراب ١ / ٧٢ .

ملاحظات شكلية لتمييز أنواع الوقف ، والاقتصار على الوظائف النحوية والعلاقات التي تربط الوحدات من جانب ، والصلات الدلالية التي لها أبلغ الأثر في الحكم بنوع الوقف وجوداً وعدماً . وإن كثرة وجود أنواع معينة من الوقفات أو الوحدات بعد نوع من أنواع الوقف ، فذلك أمر ترجيحي غير ثابت ، لارتباط حكم الوقف ونوعه بقرائن غير مقالية في الغالب الأعم حيث يختلف الوقف من تفسير وإعراب وقراءة إلى آخر كما سبق القول .

وأخيراً يمكن إعادة تصور أنواع الوقف والفروق بينها كما يرتضيها البحث ، مع التسليم بأن هذه الفروق على المستوى النظري صحيحة ، ولكن تطبيق هذه الفروق على النص القرآني ، كما جاء ذلك عند علماء الوقف فيه نظراً لعدم دقة التطبيق أحياناً ، أو لاختلاف في توجيه العلاقات والوظائف وتأويل النص وقراءته من عالم لآخر في أكثر الأحيان .



وهذا جدول بالفروق المميزة لكل نوع

| نوع الوقف | | | | الخاصية المميزة |
|-----------|-----|------|-----|---|
| قيح | حسن | كلام | تام | |
| - | + | + | + | يجوز الوقف عليه . |
| - | - | + | + | يجوز الابتداء به |
| - | - | - | + | لا يتعلق ما بعده بما قبله . لا في اللفظ ولا في المعنى . |
| - | - | + | - | لا يتعلق ما بعده بما قبله في اللفظ لفظ دون المعنى . |
| - | + | - | - | يجوز الوقف عليه . ويتعلق ما بعده بما قبله في اللفظ والمعنى . |
| + | - | - | - | لا يجوز الوقف عليه . ويتعلق ما بعده بما قبله في اللفظ والمعنى . |

وقف البيان :

ألقى علماء الوقف نوعاً آخر من الوقف بأنواع الوقف الأخرى التي سبق تناولها ، وأعتني به وقف البيان ، وقد يسمى اللازم ، وقد يسمى الواجب .

وليس وقف البيان قسماً لأربعة الأنواع السابقة ، بل متداخل معها ، إذ هو وقف جئ به لبيان معنى لا يفهم بدونه ، وهو مستحب لأنه يدفع لبساً أو يزيل غمماً قد يقع فيه السامع . « ويجئ هذا في قسمي التام والكافي ، وربما يجئ في الحسن » (١) .

فهو وقف لا يتحدد من خلال العلاقات الشعرية بين الوحدات وجوداً وعدمياً ، وما يستتبعه من وجود علاقات دلالية أو عدم وجودها ، بل هو وقف لدفع توهم أو لبس قد ينشأ في ذهن السامع نتيجة الوصل ، وكل الأوقاف السابقة حكمها هو الجواز هذا التبيين . أما وقف البيان فهو واجب أو لازم بمعنى أنه يحول الوقف التام من الجواز إلى الوجوب ، وكذلك مع بقية الأوقاف ، فإذا كانت الأوقاف الجائزة تستهدف تحديد المعنى ، فإن وقف البيان يجئ مع أي نوع منها لدفع وهم يحول دون هذا التوجيه أو التحديد الذي تقوم به الأوقاف الأخرى . وتلك طائفة من الأمثلة لوقف البيان .

١- فمن التام الذي هو للبيان :

١- قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَا يَحْزَنْكَ قَوْلُهُمْ ﴾ [يونس ٦٥] هنا

وقف تام ، وهو في نفس الوقت وقف بيان . والابتداء ﴿ إِنَّ الْعِزَّةَ

لِلَّهِ تَعَالَى ﴾ [نفس الآية] فهو وقف تام لانفصال السابق عن اللاحق

(١) انظر النشر ١ / ٢٢٢ ، ومعار الهدى ص ٦٠ .

لفظاً ومعنى ، واستغناء السابق عما يليه . وهو وقف بيان لأن القارئ لو وصل الكلام لأوهم ذلك بأن قوله ﴿ إن العزة لله تعالى ﴾ من قول الذين أحزنوا الرسول فهم كفار لا يقولون بذلك .

٢- ومن ذلك أيضاً قول الحق جل ثناؤه : ﴿ أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ [الزمر ٢٢] هذا وقف تام ، ثم يبتدئ القارئ ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ [الزمر ٢٣] هنا يلزم الوقف للبيان ، لأنه لو وصل لأوهم ذلك العطف ، ولاشرك النبي - معاذ الله - مع الكافرين في التصير .

٣- ومنه أيضاً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ أصحاب النار ﴾ [غافر ٦] هنا وقف تام ، ثم يبتدئ القارئ : ﴿ الذين يجعلون العرش ﴾ [غافر ٧] ، وهنا يلزم الوقف للبيان حتى لا يتوهم السامع أن (الذين) نعت لـ (أصحاب النار) ، فليس الذين يجعلون العرش بأصحاب النار .

٤- ومنه أخيراً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن ﴾ [إبراهيم ٢٨] ، هذا وقف تام ثم يبتدئ القارئ : ﴿ وما يخفى على الله من شيء ﴾ [نفس الآية] . وهنا يجب أن يتحول الوقف التام من الجواز أصلاً إلى الوجوب من أجل البيان ؛ لأنه لو وصل لأوهم أن (ما) في قوله (وما يخفى) معطوفة موصولة مثل (ما) في قوله (ما نخفى) على حين مع وقف البيان سيوضح أنها (نافية) قبل الفعل (يخفى) .

ب- ومن الوقف الضايف الذي هو وقف بيان :

١- قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة ٨] ، ثم يبتدئ القارئ ﴿ يخادعون الله ﴾ [البقرة ٩] ، وهنا يتحول هذا الوقف الكافي بينهما إلى وقف للبيان حتى لا يتوهم السامع أن جملة (يخادعون) حال ، على حين أنها صفة لهم ، وهو ما يعني ملازمة الحدث لهم ، وليس حدثاً عارضاً .

٢- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ ثالث ثلاثة ﴾ [المائدة ٧٣] هنا وقف كاف للبيان ، ثم يبتدئ القارئ ﴿ وما من إله إلا الله ﴾ [نصر الآية] لئلا يوهم أنه من مقولهم ، فالذي يقول بالتثليث ليس هو الذي يقول بالوحدانية .

٣- ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ [مریم ٨٦] هذا وقف كاف للبيان ، والابتداء بقوله : ﴿ لا يملكون الشفاعة ﴾ [مریم ٨٧] لئلا يوهم الحالية ، فهم لا يملكونها أبداً ، لا في هذا الموقف ولا في سواه .

ج- ومن الوقف الحسن الذي هو وقف بيان :

١- قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وتعزوه وتوقره ﴾ [الفتح ٩] ، هذا وقف حسن تحول إلى وقف بيان لازم ، ثم يبتدئ القارئ (وتسيحوه) [نفس الآية] لأن القارئ لو وصل لأوهم ذلك اشتراك عود الضمير على شيء واحد على حين أن الضمير في الأولين عائد على النبي ﷺ ، وفي الفعل الأخير عائد على الله جل ثناؤه ، فهو وحده المفرد بحق التسييح .

٢- وعن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدْ مَنَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَلْبْتُ ﴾ [يوسف ٢٧] ، هذا وقف حسن ، وهو وقف بيان لازم ، والابتداء ﴿ وهو من الصادقين ﴾ [نفس الآية] للإشعار بأن يوسف عليه السلام من الصادقين في دعواه دافعاً ، وليس في هذا الموقف نصيب .

٣- ومنه أخيراً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ [التوبة ١٠] هذا وقف حسن للبيان ، والابتداء بقوله : ﴿ وأيده بجنوده ﴾ [نفس الآية] لئلا يوهم أن الضمير في (عليه) يعود على ما يعود عليه الضمير في (أيده) على حين أن الضمير الأول - كما قيل - يعود على أبي بكر الصديق - رضي الله عنه ، فهو الذي احتاج إلى أن يطمئن وتسكن نفسه ، كما يتضح مما قبله مباشرة ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ ، على حين أن الضمير في (وأيده) يعود على النبي عليه الصلاة والسلام ^(١) .

وتجدر الإشارة إلى أن نماذج وقف البيان السابق عرضها تمثل إجراء يبرز العلاقة الوثيقة بين الوقف من جانب والدلالة أو المعنى من جانب آخر بشكل مباشر ، وتأثير الأول على الثانية تأثيراً ظاهراً .

وسوف يزداد وضوحاً مع القرائن المتضمنة في الباب الثاني من هذه الدراسة إن شاء الله .

(١) راجع في وقف البيان المشر ١ / ٢٢٢ ، ومعار الحديث / ١٠ .

بين علامات الوقف وعلامات الترقيم :

يشير الكلام عن الوقف كفاصلة بين وحدات الكلام المنطوق توجه المعنى وتؤثر عليه ، يشير تساؤلاً عن علاقة أنواعه ورموز هذه الأنواع كما تبدو في رسم المصحف بأنواع علامات الترقيم ، وما تدل عليه ، وهل تصلح النقطة (.) رمزاً كتابياً للفاصلة الخاصة بالوقف التام ، والفاصلة غير المنقوطة (،) رمزاً للوقف الكافي ، والفاصلة المنقوطة (:) للوقف الحسن ؟

من المعروف علمياً أن اللغة تتمثل لنا في مستويين ، الأول : اللغة المنطوقة وفيها تكون اللغة رموزاً صوتية عرفية لمفاهيم معينة لدى الجماعة صاحبة اللغة ، والمستوى الثاني : اللغة مكتوبة ، وفيها تكون اللغة حروفاً مكتوبة ترمز للوحدات المنطوقة ، وهي كذلك عرفية تدل على معانٍ معينة لدى نفس الجماعة ، ومن العلوم كذلك أن اللغة المنطوقة هي الأصل ، وأن اللغة المكتوبة هي صورة الأصل .

ولاشك أن الرموز الخاصة بالأوقاف هي رموز اصطلاحية خاصة ارتضاها نفر من علماء القراءات والوقف ورسم المصحف ، وهي رموز خاصة كذلك بالنص القرآني . وكما أن هناك خلافاً حول أنواع الوقف ومسمياته فكذلك هناك خلاف كبير حول الرموز التي تشير إلى هذه المسميات .

أما الرموز الخاصة بالكتابة والمسماة بعلامات الترقيم فهي رموز اصطلاحية خاصة بعلماء اللغة ، وهي لا تخص مستوى معيناً من اللغة ، بل هي صالحة لأي مستوى ولأي نص .

ويبقى القاسم المشترك بين رموز الأوقاف في القرآن الكريم ، ورموز علامات الترقيم في الوظيفية التي تلعبها هذه الرموز في توجيه معنى النص ، من خلال وصل الكلام وفصله ، وتأثير ذلك على الدلالة . تلك هي العلاقة بين

هذين النوعين من الرموز ، وعلى حين تختلف علامات الوقف وأنواعه بين علماء الوقف ، نجد أن علامات الترقيم أكثر ثباتاً واستقراراً بين علماء اللغة .

فمن حيث رموز الأرقام من جانب ورموز علامات الترقيم من جانب ثان يحسن أن يبقى كل نوع منهما مستقلاً بما وُثِّقَ له ، لكن الجانب الذي يمكن الاستفادة منه من جهد علماء الوقف هو في الاستفادة من مفهوم هذه الأنواع (التام ، الكافي ، الحسن) ، ولا بأس كذلك من الاصطلاح على أن نرمز للتام بـ (النقطة) ، والكافي بـ (الفاصلة غير المنقوطة) ، والحسن بالفاصلة المنقوطة . ويمكن لنا مثلاً أن ندرب أولادنا في كل المراحل على مهارة فهم ما يقرءون ، بقدر اهتمامنا بأن يحسنوا نطقه ، ثم نختبر قدراتهم في القراءة من خلال إجادتهم للأرقام التي تعكس فهمهم للنصوص ، كما نختبر هذا الفهم الصحيح كذلك من خلال امتحانات تحريرية لوضع رموز الأرقام في مواضعها ، الأمر الذي يساعد على تدريب الملكة اللغوية على الفهم ، وهو جانب طال إهماله في عملية تعليم اللغة . ولاشك أن إجادة النطق مع إجادة الفهم يمثلان أهم مظهرين لامتلاك اللغة امتلاكاً حقيقياً .

الابتداء :

إذا كان الوقف هو قطع الصوت زمناً يسمح بالتنفس على تية استئناف القراءة ، فليس يعني ذلك أن يعاود القارئ قراءته من حيث وقف . بل الأمر محكوم بمدى صحة المعنى إذا ابتدأ من موضع يعينه أو فساد .

فإذا كان المعنى لا يفسد أو يختل جاز الابتداء من حيث وقف ، وإذا لم يستقم المعنى أو فسد امتنع الابتداء . ويترتب على ذلك وجود أربعة أنواع من الابتداء تقابل أنواع الوقف الأربعة ..

١- الابتداء التام : ولا يتعلق ما قبل الابتداء بما بعده لا في اللفظ ولا في

المعنى . وينطبق هذا المفهوم على الوقف التام . فالوقف مصطلح يخص السابق ، والابتداء يخص القادم . وأمثلتهما واحدة .

٢- الابتداء الكافي ، ولا يتعلق ما قبل الابتداء بما بعده في اللفظ ويتعلق في المعنى ، وينطبق هذا المفهوم على الوقف الكافي . كما أن أمثلة الوقف الكافي هي نفسها أمثلة الابتداء الكافي .

٣- الابتداء الحسن : ويتعلق ما قبل الابتداء بما بعده في اللفظ وفي المعنى ، ولكن لا يخلط المعنى ولا يفسد بهذا الابتداء . وأهم نماذج الابتداء الحسن على ربح الآي ، وقد سبق القول إن هذه القراءة هي السنة المستحبة . فيمكن للقارئ أن يبتدئ : الرحمن الرحيم ثم يوقف ويبتدئ : مالك يوم الدين ثم يوقف ويبتدئ : إياك نعبد وإياك نستعين .. الخ .

أما إذا اشتد تعلق ما قبل الابتداء بما بعده صار الابتداء قبيحاً . ومن أمثلة ذلك .

قال الحق سبحانه : ﴿ قالت اليهود ﴾ [التوبة ٢٠] (ثم يوقف القارئ) ويبتدئ القراءة ﴿ وزير بن الله ﴾ [نمل ١٦] . هذا ابتداء قبيح .

ومنه أيضاً قوله تعالى : ﴿ قالت النصارى ﴾ ثم يوقف ويبتدئ ﴿ المسيح ابن الله ﴾ [التوبة ٣٠] هذا أيضاً ابتداء قبيح .

ومنه كذلك قوله تعالى : ﴿ قالت اليهود ﴾ ثم يوقف ويبتدئ ﴿ يد الله مخلولة ﴾ [الأنعام ٦١] فهذا أيضاً ابتداء قبيح .

ومنه أخيراً قوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا ﴾ [البقرة ٧٢] ثم يوقف ويبتدئ ﴿ إن الله ثالث ثلاثة ﴾ كل هذا وما شاكله ابتداء قبيح لأنه يبتدئ

بكلام فاسد من حيث ما يترتب على العلاقات الجديدة بين الوحدات من معنى مرفوض عقدياً .

وقد اقتصد أكثر من تحدثوا عن الابتداء ، وكاتبهم اكتفوا بالتفصيل الذي أورثوه عن أنواع الوقف ، من منطلق أن سلامة المعنى هي الفيصل في الحكم بجواز الوقف ، وهو ما ينطبق على حكم جواز الابتداء ، وأن فساد المعنى هو الفيصل كذلك في الحكم بعدم جواز الوقف ، وهو ما ينطبق على عدم جواز الابتداء ، ولا يجوز الابتداء بأي موضع يترتب على الابتداء به خلل في المعنى أو ليس أو غموض أو تغيير للعلاقات بين الوحدات تحيل المعنى وتفسده كما من في الأمثلة من قبل .

وقد سبق القول إن جواز الابتداء لا يكون إلا بعد الوقفين التام والكافي . أما بعد الوقف الحسن فلا يجوز إلا إذا فهم الكلام ولم يلتبس ، أما إذا وقع ليس أو غموض أو فساد امتنع الابتداء وهذا قد يقع أحياناً بعد الوقف الحسن ، وهو واقع دوماً بعد الوقف القبيح .

الفصل الثالث
مفهوم الدلالة التركيبية

الفصل الثالث

مفهوم الدلالة التركيبية

الدلالة التركيبية :

يعد تحديد المقصود بالدلالة التركيبية في هذه الدراسة أحد أهم محاور هذا الباب . يعد أن سبق تحديد مفهوم الوقف وأنواعه .

والبحث في الدلالة كما هو معروف شائك ومعقد . وتحديد أنواعها يتصف بما يتصف به الموضوع برمته ، وربما كان من أكثر الجوانب حسراً في التناول هو الفصل بين أنواع الدلالة .

وإذا ارتضينا بشكل اصطلاحي أن المعنى هو الدلالة في مقابل المصطلح الإنجليزي (Meaning) فإن المشكلة تكمن في أن حديثنا عن أنواع الدلالة يتعلق على الأقل بتأحييتين : الأولى : أنواعها عند من ؟ ، والثانية : أنواعها في أي جانب من جوانب الحدث اللغوي ؟

وعن الجانب الأول نجد أن أنواع الدلالة عند القدماء يختلف من أمة إلى أخرى ، فإذا قلنا مثلاً في تراث الهنود اللغوي سنجد أن الهنود قسموا أنواع الدلالة كما جاء عن باتنجالي أربعة أقسام تبعاً لعدد الأصناف الموجودة في الكون ، لأن الكلمات شارحة لهذه الأصناف ، وهذه الأقسام الأربعة هي :

أ- قسم يدل على مدلول عام أو شامل Universal مثل : بقرة ، فرس ، كلب ، فيل ، فكل منها يدل على شيء عام ، فلفظ بقرة اسم عام يطلق على أي

بقرة . ودلالة المصوم عندهم هي (بقرة) هي خاصية جوهرية (تخلع الحياة على الذات)^(١) .

ب- قسم يدل على كيفية Quality مثل : قوي ، ذكي ، طويل ، سائل ، صلب ، هلامي ... الخ ، ودلالة الكيفية مجرد عامل مخالف أو عنصر مميز بين الأفراد .

ج- قسم يدل على حدث Action مثل : جاء ، نجح ، تزوج ، انتصر .. الخ ، وهي دلالة تشير إلى خاصية تتصف بالتتابع الموقوت بزمان خلافاً لدلالة الكيفية التي لا ترتبط بقيد الوجود الوقتي : (إن وحدة الحدث Action Unit مثل (الطبخ) ليست مستقلة بنفسها ، ولا فكرة منفصلة بذاتها ، ولكنها مجموعة من الحقائق الممتدة خلال فترة محددة من الزمن مثل : إشعال النار - وضع القدر على النار ، صب الماء ، وضع الأرز ، إنزال القدر بعد الطبخ) ، وليس أي منها على انفراد . وعلى هذا فالتتابع الموقوت يشكل وحدة الحدث من أي نوع^(٢) .

د- القسم الرابع ، وهو ما يدل على مادة Substance أو أسماء الأشخاص proper names مثل محمد - علي - قيصر - شكسبير .. الخ .

وعلى حين ترتبط الدلالات الثلاث السابقة بوجود مقابل موضوعي خارجي للدلالة ، فالبقرة تدل على هذا المخلوق المعروف ، والسفينة حالة معلومة مدركة للناس كافة ، ونجح حدث على شيء وقع في زمن مضى ، وهو

(١) انظر البحث القوي عند الهنود ص ١٠٦ .

(٢) راجع السابق ص ١٠٨ .

يتميز عن سواء من الأحداث التي تقع في حياة البشر ، فكل هذه الأشياء لها وجود موضوعي في الواقع ، أما إطلاق كلمة « محمد » مثلاً ليس له شيء خارجي تلتقي معه ، إننا قد نسمي كلباً باسم Caesar ، كما يسمى به الفاتح الروماني الشهير على الرغم من عدم وجود مشابهة بينهما . فالسلسلة الصوتية لاسم الشخص (قيصر) مثلاً تدل على نفسها ، ويخضع إطلاق الاسم على المسمى لهوى من يطلق وخياله ، أما كلمات العموم والكيفية والحادث فهي تدل على أشياء غير الكلمات نفسها ، أشياء من الناحية الموضوعية ذات وجود واقعي^(١) .

ونلاحظ على هذه الأنواع من الدلالة :

أنها كلها من قبيل الدلالة الإشارية reference ، وهي نوع من الدلالة يؤخذ المدلول أو الشيء الخارجي في الاعتبار عند تحديدها ، وهذا الشيء عنصر غير لغوي فكلمة ضرب وحدة لغوية وعملية الضرب نفسها ليست من اللغة ، وكلمة بقرة دال لغوي أما البقرة ذاتها فليست عنصراً لغوياً . ولو كانت البقرة ذاتها عنصراً لغوياً لكانت البقرة في اللغة الإنجليزية شيئاً من حيث هيئته وشكله وصفاته الخلفية مختلفاً عن البقرة في اللغة العربية أو الصينية ، على حين أن البقرة هي ذلك الكائن الحي الذي يمكن تمييزه من غيره من الكائنات الحية ، وله بينها كينونة واحدة بصرف النظر عن اختلاف الدال الذي يشير إليها من لغة إلى أخرى . والذي يعطينا نحن اللغويين أن نحدد مدلول كلمة بقرة من خلال النظام اللغوي دون أن نقحم العناصر غير اللغوية كهيئة البقرة وجنتها في هذا التحديد .

والعرب نصيب في هذه المحاولة التي يسعى فيها البحث لتحديد أنواع
(١) انظر السابق من ١٠٩ .

الدلالة . فعلماء الفلسفة عنوا بتحديد الدلالة ، وبيان أنواعها غير أن الدلالة عندهم ، وبخاصة المتقدمون كالفارابي وابن سينا والغزالي كانت تنصب على دلالة الألفاظ (Sense) ، ويتركز على اللفظة والأثر النفسي الذي تحدثه الأمر الذي جعلهم يركزون على ثلاثة أمور : اللفظة (الدال) والصورة الذهنية (المدلول) والأمر الخارجي . (المرجع referent) .

وفي ضوء ذلك تقوم مجموعة من العلاقات بين :

أ- الخط واللفظ أو الكلمة مكتوبة والكلمة منطوقة .

ب- اللفظة والصورة الذهنية .

ج- الصورة الذهنية والأمر الخارجي .

وتتخصص الدلالة في العلاقة بين اللفظ والصورة الذهنية وعليه فإن :

« معنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم ، ارتسم في النفس معنى » فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم ، فكلمة أورده الحس على النفس التفتت إلى معناه « (١) » .

وهذا الكلام يذكرنا بكلام ألمان في كون المعنى هو علاقة متبادلة بين

الدال والمدلول ، واللفظ هو الدال والصورة الذهنية هي المدلول على حين أن

« الخط أو الرمز الكتابي دال غير مدلول عليه ، والأمر الخارجي مدلول عليه

غير دال » (٢) .

وإذا كان ابن سينا والفارابي لا يستبعدان الأمر الخارجي أو المرجع

referent من الدائرة التي تتحكم في تحديد الدلالة فإن آخرين يخرجونها .

فهذا يحيى العلوي يرى أن : « الحقيقة في وضع الألفاظ إنما هو للدلالة على

(١) الشفاء ، العبارة من ٢ .

(٢) انظر شرح العبارة للفارابي من ٢٥ .

المعاني الذهنية بين الموجودات الخارجية . والبرهان على ما قلناه هو أننا إذا رأينا شياً من بعيد وظنناه حجراً سميناء بهذا الاسم ، فإذا دنونا منه ، وظننا كونه شجراً ، فإننا نسميه بذلك فإذا ازداد التحقيق بكونه طائراً سميناء بذلك ، فإذا حصل التحقيق بكونه رجلاً سميناء به ، فلا تزال الألفاظ تختلف عليه باعتبار ما يلهم منه من الصور الذهنية ، فدل ذلك على أن إطلاق الألفاظ إنما يكون باعتبار ما يحصل في الذهن ، ولهذا فإنه يختلف باختلافه ^(١) .

في ضوء ما سبق من كون الدلالة في علاقة بين الدال والمدلول على تفاوت في اعتبار الأمر الخارجي أو عدم اعتباره ، فإنهم يقسمون الدلالة ثلاثة أنواع : وضعية ، عقلية ، وطبيعية .

فالدلالة الوضعية : وهي الدلالة الاصطلاحية العرفية . كدلالة ألفاظ اللغة على مدلولاتها التي وضعتها لها الجماعة صاحبة اللغة ، فهناك إذن لفظ أو دال أو موضوع ، وهناك مدلول أو موضوع له ، وهناك الوضع أو الاصطلاح على أن هذا الدال لذلك المدلول . ومن أمثلة ذلك وضع كلمة (إنسان) للحيوان الناطق ، وإطلاق كلمة (أسد) على هذا الحيوان المعروف ، ووضع كلمة (ضارب) لمن قام به الضرب ، ووضع كلمة (ضرب) لهذا الحدث في هذا الزمن المعروف ^(٢) .

أما الدلالة العقلية : فهي « دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه . والمطلوب بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال في

(١) الطراز ج ١ ص ٣٦ .

(٢) انظر كتاب اصطلاحات الفنون ص ٤٨١ . وانظر علم الدلالة عند العرب ص ٣٠ - ٣١ .

نفس الأمر تحقق المدلول فيها مطلقاً ، سواء أكان استلزام المعلول للعلة كاستلزام الدخان للنار أو العكس كاستلزام النار للحرارة ، أو استلزام أحد المعلولين للآخر كاستلزام الدخان للحرارة ^(١) .

فالدلالة العقلية : تقتضي وجود لازم ذهني به تُفهم ، فقبول العلم دلالة عقلية التزامية مفهومة من لفظ (إنسان) ومن ذلك ، دلالة لفظ أب على أن له مولوداً ودلالة لفظ زواج على حق استمتاع كل من الزوجين بالآخر .. الخ .

أما الدلالة الطبيعية : وهي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه ، ... كدلالة (أح أح) على السعال ، وأصوات البهايم عند دعاء بعضها بعضاً ، وصوت العصفور عند القبض عليه ، فإن الطبيعة تتبع بإحداث تلك النوال عند عروض تلك المعاني ، فالرابطة بين الدال والمدلول هنا هو الطبع ^(٢) .

وكلمة الطبع في هذا السياق تبدو أقل تحديداً من كلمتي الوضع والعقلية فيما مضى ، وإن كان الغالب هو أن الدلالة الطبيعية تنحصر في الدلالة المفهومة من صوت طبيعي ، لأن الصوت كما يقول ابن باجه : « إما أن يدل بالطبع ، وإما أن يدل بالقصد » ^(٣) . فالأخير هو أصوات اللغة كأداة اتصال بين البشر ، أما الصوت الصادر عن الطبيعة فكأصوات الطيور والحيوانات ، وكل صوت دل بطبعه على مصوته كالهدهد ونقر النحاس وخيرير الماء ، وحفيف الشجر ، وقرقرة اليطن ... الخ .

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ٤٨٧/٤٨٨ .

(٢) السبايق ٤٨٨ .

(٣) انظر الترتيب بعد المطلق من ١٧ .

ونلاحظ على هذه الدلالة وأنواعها أمرين :

أن الدلالة هنا (Sense) هي دلالة الرموز والإشارات اللغوية منها وغير اللغوية ، وأثر هذه الدلالة على السامع أو القارئ ، وهذا بالسيمبولوجيا أدخل منه باللغة ، ومعلوم أن الأخيرة جزء من الأول ، ولذا وجدنا جزءاً من هذه الدلالة هو من قبيل دلالة الألفاظ ، كما هي الدلالة الوضعية والعقلية ، وجزءاً آخر هو من صميم السيمبولوجيا كالأصوات غير اللغوية في الدلالة الطبيعية . والجزء الخاص بدلالة الألفاظ هو نفسه جزء من الدلالة اللغوية .

وليس يعني ذلك بحال التهورين من قيمة هذا التناول لقضية الدلالة عند الفلاسفة العرب بل هو مجرد رصد لمجال هذا التناول والدائرة التي يدور فيها هذا الجهد ، ومن الإنصاف أن يقال إن هذه المعالجة العربية في مجالها تعد رائدة وأصيلة فهي تعالج دلالة الرمز (لغوياً وغير لغوي) معالجة سيمبولوجية شاملة تماثل معالجات علماء السيمبولوجيا المحدثين ، وبخاصة عند (بيرس) رائد هذه الدراسة في أمريكا الذي يقسم العلامات ثلاثة أنواع تكاد تقابل الدلالة الوضعية ثم الشاهد index وتقابل الدلالة العقلية ، ثم الإيقونة icon وتقابل الدلالة الطبيعية مع اختلاف يسير في بعض التفاصيل^(١) .

ولا يقل جهد علماء أصول الفقه قيمة وأثراً في مجال الدرس الدلالي عن جهد الفلاسفة ، ووجه القرب بينهما سهل الإدراك .

والدلالة عندهم أقسام كل قسم منها تدرج تحته أنواع من الدلالات ، فعن طرق دلالة اللفظ على المعنى مثلاً نجد أنواع الدلالة التالية :

(١) انظر علم الدلالة عند العرب ص ٢٩ . وما يبعث .

١- دلالة العبارة : وهي دلالة الصيغة على المعنى المتبادر فهمه منها ، المقصود من سياقها سواء أكان مقصوداً من سياقها أصالة أو مقصوداً تبعاً^(١) ، فمعن المقصود أصالة ، وهو ما يعرف بالمعنى المطابق عند الفلاسفة قوله تعالى : ﴿ واجلنهم ثمانين جلد ﴾ فالعدد هنا محدد ومقصود أصالة ، واللفظ يدل على تمام المعنى الذي وضع له . ومن المقصود تبعاً قوله تعالى : ﴿ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن ﴾ فوجوب نفقة الوالدة المرضع على الأب هو معنى مطابق مقصود أصالة من السوق ، والمعنى الدال على ارتباط الولد بآبيه واختصاصه به مفهوم من قوله (المولود له) هو معنى مقصود تبعاً^(٢) . وهذا يدخل بوجه عام فيما يعرف بالدلالة الوضعية عند الفلاسفة .

٢- دلالة الإشارة : وهي دلالة النص على معنى لازم لما يفهم من عبارته ، غير مقصود من سياقه ، يحتاج فهمه إلى فضل تأمل .. ، بحسب ظهور وجه التلازم وخفائه^(٣) . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ ويفهم منه بطريق الالتزام وجوب إيجاد طائفة من الأمة تمثلها وتستشار في أمرها . ولاشك أن هذا النوع من الدلالة يتقابل الدلالة العقلية عند الفلاسفة .

٣- دلالة النص : ولها مصطلحات أخرى^(٤) : وهي دلالة اللفظ على تعدي حكم المنطوق به إلى حكم مسكوت عنه لاشتراكهما في علة يفهم كل عارف

(١) انظر أصول الفقه (خلاص) ١٤٤ .

(٢) وانظر البحث الدلالي عند الأصوليين من ٩٣ .

(٣) السابق ٩٦ .

(٤) السابق / ٧٧ .

باللغة أنها مناط الحكم » (١) . فهو معنى مفهوم من روح النص ومعقوله
 كقوله : ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ فدلالة النص أنه ينهي عن كل ما فوق
 الأف كالضرب والشتم ، لاشتراك ذلك مع الأف في الدافع للنهي أصلاً ،
 وهو الإيذاء ، ولما كان مفهوم أن الضرب أكثر إيذاءً وإيذاءً للوالدين ،
 كان النهي عنه مفهوماً بدلالة النص .

١- دلالة الاقتضاء : وهي دلالة الكلام على مسكوت عنه بحيث لا يستقيم
 معناه إلا بتقديره . مثل : ﴿ حرمت عليكم أمهاتكم ﴾ ، أي زواجهن ،
 فهي دلالة مفهومة ضمنية من فحوى النص ، وليس من بنيته الظاهرة ،
 والمفهوم من العناصر المحذوفة غير الظاهرة في عبارة النص ونظام اللغة
 يقتضي وجودها هو ما يعرف بدلالة الاقتضاء .

والتناول الأصولي هنا لأنواع الدلالة يختلف في مجمله عن تناول الفلاسفة
 العرب ، تناول الأصوليين أدخل إلى درس الدلالة اللغوية منه إلى الدلالة في إطار
 السيميولوجيا ، درس الأصوليين الدلالي هو في دائرة الخاص ، وهو اللغة . ودرس
 الفلاسفة هو في دائرة العام الذي هو السيميولوجيا .

إن الأصوليين يحددون الدلالة من خلال النص اللغوي ، والعلاقات التي
 تقوم بين وحداته والدالات التي يؤديها ، أما الفلاسفة فيحدونها من خلال
 العلاقة بين الدال والمدلول والأمر الخارجي ، وأثر ذلك على المتلقي ، وهي
 عناصر - ما عدا الدال - ليست لغوية ، فالمدلول أو الصورة الذهنية ، والأمر
 الخارجي أو الشئ في الواقع (المشار إليه) ، والسماع أو المتلقي كلها
 عناصر غير لغوية . وهو ما يجعل عمل الأصوليين - بوجه عام - أقرب إلى
 ما نصعى إليه من عمل الفلاسفة .

(١) انظر الأحكام في أصول الأحكام ٩١/٣ ، وأصول التشريع الإسلامي ٢٧٥ .

قد يبدو ما سبق نوعاً من السرد التاريخي لأنواع الدلالة عند القدماء ، وما لهذا قصد البحث ، وإنما أراد البحث أن يقدم تمطاً من التفكير يمثل هذا التداخل بين العلماء في فهمهم للمعنى وتصنيفهم لأنواعه ، وهو أمر جعلهم يبحثون عن أنواع الدلالة من خلال البحث عن العلاقة بين الدال (اللفظ) والمدلول (الصورة الذهنية) والشئ المشار إليه (المرجع referent) وهو أمر اهتم به الفلاسفة وعلماء النفس والمتنطق وعلماء اللغة ، وهو ما يشير إلى أن القضية مشتركة بين علوم هؤلاء وأولئك .

وحينما سيطر التفكير العلمي على الدراسات اللغوية ، وبخاصة بعد دي سوسير بدأت البحوث العلمية في مجال الدلالة ، بوصفه مستوى من مستويات التحليل اللغوي ، ودار جُكَل هذه البحوث في أوروبا حول ما يعرف الآن بعلم الدلالة المعجمي ، وموضوعه الأساسي دلالة الألفاظ (١) .

وكان مورف بلومفيلد أبرز علماء اللغة في النصف الأول من القرن العشرين من قضية الدلالة ذات تأثير هائل على نظرية اللغويين لموضوع المعنى ، فقد كان الرجل علمياً تجريبياً ، والتناول القديم الذي سبق طرحه يتكلم عن عناصر عقلية في تحديد المعنى لا يمكن إخضاعها للتحليل الميداني المعرفي . فالتصور والإدراك ، والصورة الذهنية في العقل عنده موضوعات خارج البنية اللغوية الخالصة ، والمعنى الذي يمكنه أن يتحدث عنه إنما هو داخل هذه البنية لا خارجها ، وما هو خارجها ليس من علم اللغة . وقد سيطر هذا القهم لأفكار بلومفيلد على عقول العلماء ،

(١) وفي هذا الإطار جاءت كتابات كبار العلماء الذين اهتموا بهذه القضية في أوروبا مثل لودمان وبارث . وعرف العلماء العرب المحققون بعلم الدلالة قاصدين به علم الدلالة المعجمي ، ومن هذه الكتب دلالة الألفاظ لفراد كامل ودلالة الألفاظ لأستاذنا المرحوم إبراهيم أنيس .

حتى أعاد الدرس اللغوي الأمريكي النظر في قضية المعنى ، وبخاصة في إطار النظرية التوليدية التحويلية .

وفي ضوء الاتجاهات اللغوية الحديثة التي تدرس المعنى - بغض النظر عن المنهج الذي تدرس به الموضوع - يمكن التمييز بشكل أساسي بين ثلاثة أنواع من المعنى :

١- المعنى أو الدلالة المعجمية .

٢- المعنى أو الدلالة التركيبية .

٣- المعنى أو دلالة النص .

وهذا تعريف موجز بكل نوع منها .

أولاً : الدلالة المعجمية : (Lexical meaning) وهي دلالة الألفاظ أو الكلمات المقررة في لغة من اللغات . ونظراً لأن هذا المستوى من الدلالة يتصل بالكلمة أو اللفظة المفردة بصرف النظر عن السياق فإن هذا المعنى متعدد وفضفاض ، ومتغير كذلك ، أما تعدده فمرده لتراكم الخبرات لدى أفراد الجماعة اللغوية وتنوع البيئات الأمر الذي يترتب عليه أن يكون للدلالة المعجمية التنوعات التالية (١) :

أ- معنى أصلي أو أساسي : وهو المعنى المركزي الذي يتبادر إلى ذهن أي فرد من أفراد الجماعة اللغوية بمجرد سماع اللفظ المعين . مثل كلمة رجل حيث يفهم - أي عربي من هذه الكلمة أنها تعني إنسان ذكر بالغ .

(١) منقولة بتصرف من علم الدلالة ، أحمد مختار عمر ، الأستاذ لنا أئيس تقسيم آخر - يسمى فيه بين الدلالة المعجمية والدلالة الاجتماعية ، النظر دلالة الألفاظ ٤٧ / ٤٨ .

ب- المعنى العرضي أو الثانوي : وهو ما تدل عليه الكلمة دلالة غير ثابتة لارتباطها بالكلمة في زمن دون زمن أو مجتمع دون آخر أو بنظرة البيئة لما تشير إليه الكلمة ، وما يرتبط بهذه النظرة من رؤية خاصة أو مواقف معين ، وعلى حين يتسم المعنى الأساسي بالثبات والشعور ، يتصف المعنى العرضي بعدم الثبات ، كما أنه يتغير بتغير الثقافة والزمن والخبرة فكلمة مثل بدينة أي السيدة الممتلئة القوام كانت تساق للمدح والوصف بالجمال في بعض المجتمعات العربية كمصر قبل ثلاثين أو أربعين عاماً ، على حين أنها تساق الآن للدلالة على عكس ذلك ، فدلالة الجمال التي كانت من المعاني التي تحملها كلمة بدينة ودلالة القبح التي أصبحت تعنيها هما دالتان ثانويتان وهما زخمتان ومتغيرتان ، أما بدينة بمعنى السيدة الممتلئة القوام فهذا هو المعنى الأساسي الثابت .

ج- المعنى الأسلوبي : وهو الدلالة التي تفيدها اللفظة لتعكس ناحية اجتماعية أو بدينية أو ثقافية أو اقتصادية خاصة بمستعمل هذه اللفظة مثل دلالة كلمة (داد) على أن مستعملها من المقترنين أو الأرستقراط ، ودلالة كلمة الوالد أو والدي على أن مستعملها من المثقفين أو المتأدبين ، ودلالة كلمة بابا أو بابي على أن قائلها من المتنوريين أو المتحضرين ، ودلالة كلمة : أبويا أو آبا على أن مستعملها من العوام أو السوق ، مع أن هذه الكلمات جميعاً تدل على معنى لغوي أساسي أو مركزي واحد . هو (الأب) .

د- المعنى الإيحائي : وهو الدلالة التي توحى بها كلمة معينة ويكون ناشئاً من خصائصها التركيبية أو من شفافيتها الخاصة . فكلمة خرير تدل على

انسياق الماء ، ولكن توحي كلمة خرير بجزء من المعنى يجسد صوت حركة الماء في الجنول لا تملكه كلمة . انسيات أو جريان الماء ، وفي كلمة (سد) أي منع معنى الصلابة والقوة في المعنى وهي دلالة أرحى بها تركيب الكلمة الصوتي ، وهو ما لا نجده في كلمة (سد) التي تشاركها المعنى الأساسي ، وإلى نماذج ذلك أشار ابن جني في خصائصه^(١) .
ومنه قول الباحثين في وصف الذئب :

يقضض عضلاً في أسرتها الردي كقضض المرقور أرمده البرد .

ففي يقضض وقضض دلالات أوحى بها الضمائم الصرفية التي تعثلت في صياغة الكلمة من مقطعين مكررين يماثلان ويحاكيان حركة وصوت أسنان الذئب الجائع ويشيان معاً بالمعنى الذي تحمله بشكل يزيد على ما يحمله المرادف العادي لهذه الكلمة وليكن كلمة يضبط بأسنانه أو يحكها أو ما شاكل ذلك ، هذه الزيادة في المعنى هي الدلالة الإيحائية .

وكلمة مثل : فلان (مات) تساوى في المعنى فلان (تعيش أنت) وفي الأولى ظل من المعنى غير مستحب ليس في الثانية . وفي كلمة (أفضى) في قوله تعالى : ﴿ أفضى بعضكم إلى بعض ﴾ . أي جامع أو عاشر ، ما ليس في مرادفها العامي من معنى فاللفظة القرآنية فيها من التلطف وكريم التعبير ما ليس في اللفظة العامية من دلالات جسيمة مشيرة غابطة . وهذه الدلالات التي توحي بها كل كلمة منهما هي من قبيل الدلالة الإيحائية .

ثانياً- الدلالة التركيبية Structural meaning

هي الدلالة الناشئة عن العلاقة بين وحدات التركيب أو المستعدة من ترتيب

١ - انظر الخصائص ٦٦/٢ أو ما بعدها .

وحداته على نحو ما . ووحدات التركيب تشتمل : المورفيمات والكلمات والفونيمات فوق المقطعية (Prosodies) (النبر والتنغيم والفواصل الصوتية) . وقد يطلق على هذه الدلالة مصطلح (Grammatical . m) وأحب في هذا السياق أن أدفع أي إسقاط معرفي على هذه المصطلحات خاص بعدسة لغوية معينة أو اتجاه لغوي بعينه في ضوء إشكالية المصطلح اللغوي الحديث ، من ثم فإنني أشفع هذا التحديد الذي سبق تقديمه بمثال توضيحي يكشف عن تلك الدلالة التي تنشأ من وجود سلسلة من الوحدات داخل تركيب لغوي ، تقوم بينها طائفة من العلاقات النحوية ، وإذا تغيرت هذه العلاقات تغيرت الدلالة التركيبية تبعاً لذلك .

ففي قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [نمل: ٢٠] .

في التركيب اللغوي السابق طائفة من العلاقات النحوية (١) ، ربطت وحدات بعضها ببعض على النحو التالي :

إِنَّ الَّذِينَ : علاقة ناسخ (إِنَّ) بمنسوخها (الَّذِينَ) .

قالوا : جملة فعلية ترتبط بالذين بوصفها (صلة) وهي علاقة تلازم من قبيل التضام ، يدغمها قرينة ربط متمثلة في الضمير (الواو) العائد من الفعل إلى (الذين) ، والعلاقة بين الفعل (قال) والواو هي علاقة إسناد .

ربنا الله : جملة إسمية بينها وبين (قالوا) علاقة تعدية لأنها مفعول للفعل .

(١) اعتمدت في تسميات العلاقات على المصطلحات التي ارتضاها أستاذنا الدكتور تمام حسان في كتابه العربية معناها ومبناها .

وعلاقة (رب) بـ (نا) علاقة نسبية أو إضافة ، وعلاقة (ربنا) بـ (الله) هي علاقة إسناد . (مبتدأ + خبر) .

ثم استقاموا : رابط + جملة فعلية (مسند + مسند إليه) تتعلق بما قبلها ، وهي جملة (قالوا) بعلاقة تبعية (عطف جمل) .

تتنزل عليهم الملائكة : (جملة فعلية) منسوخة بـ (إن) ، وتتعلق بـ (إن الذين) بعلاقة إسناد ، قالوا (مسند إليه) والثانية (مسند) . الجار والمجرور يتعلق بـ الفعل (تتنزل) تعلقاً يفيد التخصيص . ويتعلق نفس الفعل بـ (الملائكة) بعلاقة إسناد .

ألا تخافوا : على تقدير ^(١) (بأن لا تخافوا) فالجملة تتعلق بجملة (تتنزل) بعلاقة (ملايسة) (حالية) ، وعلى تقدير : قائلين لا تخافوا : قالحال (قائلين) مضاف ، و (لا تخافوا) مفعول قائلين يتعلق به بعلاقة تلبية . وجملة ألا تخافوا مركبة - أن (مخففة) + اسمها ضمير شأن + (فعل + فاعل) خبر المخففة . وهي علاقة نسخ وإسناد .

ولا تحزنوا : جملة معطولة على (ألا تخافوا) وبينهما علاقة تبعية وهي مكونة من عاطف + أداة نهي + مسند + مسند إليه .

إن هذه السلسلة من الوحدات اللغوية التي قامت بينها هذه الشبكة من العلاقات النحوية قد كونت تركيباً لغوياً له دلالة محددة ناتجة من هذا التلازم والترايط بين وحداته هي ما أقصده هنا بالدلالة التركيبية . وتمثل هذا التركيب في عدد من المكونات أولها :

(١) انظر التبيان في إعراب القرآن ٢ / ١١٢٦ .

١- مجموعة من الكلمات : إن - الذين - قال + الواو + وب + (نا) + الله
... الخ .

٢- مجموعة من الوظائف النحوية : الابتداء ، الفاعلية ، المفعولية ، الحالية
... الخ .

٣- طائفة من العلاقات : الإسناد ، النسبة ، التبعية ، التضام ، التعدية
... الخ .

رأى تغيير في أي نوع منها يؤثر على الدلالة التركيبية ، سواء أكان التعديل في نوع الكلمات أو ترتيبها على هذا النحو ، وما يتربط على ذلك من تعديل في الوظائف النحوية وما ينبني على ذلك من تغيير في العلاقات التي تربط هذه الوحدات . ومن الأمور ذات الشأن في التأثير على هذه الدلالة كذلك الفروقات فوق المقطعية المصاحبة لنطق هذا التركيب ، كالنبر أو الضغط على مقطع في كلمة من كلماته أو ما يصاحب نطقه من تنغيم ، أو الفصل بين الوحدات بما يشعر بانتهاء العلاقة بين وحدتين ، كل ذلك يؤثر بدوره على دلالة التركيب . وعن أثر الفصل والوصل ، أو الوقف والابتداء كقوتيم فوققطعي على دلالة التركيب أو الدلالة التركيبية يتركز البحث في هذا العمل .

ثالثاً : دلالة النص : إن مصطلح النص Text هو مصطلح قديم جديد ، ويمكن أن نفهم في القديم ما المقصود بالنص من خلال عبارات مثل النص القرآني ، النص الأدبي أو اللغوي .. الخ . دون أن نجد تحديداً علمياً دقيقاً يقطع بأن هذا الذي أطلقوه يقابل ذلك التحديد العلمي الذي يفيد هذا المصطلح في الدراسات اللغوية والنقدية الحديثة . فالقرآن الكريم عندهم نص .

وقصيدة مثل (من الحمام إلى الحمام) للمتنبّي تعد نصاً شعرياً وكتاب مثل (يتيمة الدهر) يعد نصاً نثرياً . ولكن لا نجد مع ذلك تعريفاً عند القدماء لما يقصدونه بالنص .

أما هذا المصطلح فقد أصبح يطلق على علم واعد يحاول أن يتكسّر على ما انتهت إليه الدراسات اللغوية (اللسانيات) الحديثة في فكّ شفرة الرسالة اللغوية والانطلاق إلى أبعاد أوسع ترى في النصّ (علامة) تحمل دلالات أكثر تكثيفاً وتحتاج في فهمها إلى وضعها في الإطار السيميولوجي الواسع الذي تفسر به العلامة ، الأمر الذي يجعل من النصّ شيئاً مختلفاً عن العناصر التي سبق تحديدها أقصد (الكلمة) و (التركيب) من حيث الطبيعة أو الخصائص الوظيفية ، والدلالة :

فإذا كان النص هو القول اللغوي المكثف بذاته والمكتمل دلالياً ، فإن هذا يمكن أن ينطبق على (كلمة) ويمكن أن ينطبق على (جملة أو تركيب) كما يمكن أن ينطبق على (كتاب كامل) . لأن النصّ (علامة) ، وكما يقول هلمسليف : (إن كلمة واحدة مثل (نار) يمكن أن تكون علامة في مقابل عمل روائي ضخم)^(١) . فالنصّ إذن ليس وحدة تختلف عن الكلمة والجملة اختلافاً كمياً بحيث تعد الكلمة وحدة صغيرة ، والجملة وحدة كبيرة والنص وحدة أكبر منهما ، فليس بالطول أو الحجم المعين يتحدد النص بل إن الفارق هنا نوعي يتحلل في أن النصّ لابد أن يتميز بالاكتمال والاستقلال بصرف النظر عن أبعاده وطوله .

ومن حيث وظيفة النص ، فلا بد أن يحقق النصّ غرضاً اتصالياً بمعنى

(١) بلغة الشطاب وعلم النص ، ص ٢٢٢ .

أن يحقق مقصديّ قائله في عملية التواصل اللغوي . الأمر الذي يجعل من النصّ كما يرى بعض علماء هذا العلم (وحدة أيولوجية) قابلة في ضوء هذا الفهم أن تعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له ، فإذا كان التركيب ظاهرة لغوية خالصة ، ودلالته كما سبق القول يمكن تحديدها من خلال مجموعة من العلاقات التي تربط وحداتها ، وهو تحديد يعتمد على آلية لسانية خالصة . فإن النصّ : (أكثر من مجرد خطاب أو قول . إذ أنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتقد بها على أساس أنها ظاهرة غير لغوية ، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة ، لكنها غير قابلة للانعصار في مقولاتها ، وبهذه الطريقة فإن النصّ جهاز غير لغوي يعيد توزيع نظام اللغة ، يكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية ، مشيراً إلى بيانات مباشرة تربطها بانعاط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها .

ففي النصّ تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى ^(١) ، وهذا يعني أن النصّ المعين إنما يكتب كما يرى دويو جراند في إطار خبرة سابقة ، وليس يعني ذلك أن النصوص تمثل إعادات لبعضها بعضاً ، بل المقصود هو أن النصوص السابقة تشكل خبرة يستند إليها في تكوين النصوص اللاحقة والكشف عنها ^(٢) . وهو ما يعرف بالتناص *intertextuality* .

وما سبق يجعل من تحليل النصّ ومعالجته عملاً يختلف عن معالجة الوحدات اللغوية الخالصة كالكلمة والجملة . فالأخيرة يمكن أن تعالج في ضوء معطيات علم اللغة على حين أن النص لا بد أن يعالج في ضوء شبكة من العلوم

(١) انظر السابق ٢٢٩ .

(٢) علم النص ونظرية الترجمة ص ٥٠ .

اللغوية والاجتماعية والسيكولوجية وعلوم الحاسب الآلي والمنطق والرياضيات ، (إن علم النص يحاول أن يوجد نوعاً من التوازن بين العناصر النحوية والتقليدية في اللغة ، والعناصر غير النحوية التي تدخل في إنتاج النصوص من حيث هي وحدات علاقية اتصالية ، وهي العناصر الذهنية - Cognitive aspects ، والعناصر غير اللغوية - Extra linguistics ، والتي أهملت إعمالاً تاماً في مجال دراسات الجملة)^(١) .

والدلالة في النص إذن دلالة مركبة تركب الدلالة التي تحملها (العلامة) في إطار السيميولوجيا في بعضها دلالة لغوية ، وبعضها دلالة عقلية ذهنية ، وبعضها دلالة نفسية وبعضها دلالة اجتماعية .. الخ .

الأمر الذي جعل من علم النص ملتقى تتعاون فيه جملة من العلوم لفك شفرته ، وعناصر كثيرة مما سبق طرحه متصلاً بمفهوم النص عند المحدثين قد دار بخلد بعض القدماء^(٢) . فكل منهم نظر إلى جانب من هذه الجوانب ، فالدلالة اللغوية تعاوت طائفة من العلوم عند العرب في الكشف عنها ، وبخاصة تلك التي عنيت بالنص القرآني كعلوم النحو واللغة وعلم المعاني في البلاغة العربية وعلم أصول الفقه ، كما عنيت بالدلالة الذهنية وعلاقة الدال بالمندلول جهود الفلاسفة على نحو ما سبق القول ، واعتبار النص وحدة

(١) السابق ص ٥٦ .

(٢) فالقول بأن النص « هو القول القلبي ، المكتفى بذاته ، والمتكامل دلاليًا » يكاد يطابق نص الفرائدي : (وأعلم أن المركب من الاسم والفعل والعرف تركيباً مقلداً ينقسم إلى مستقل بالإفادة من كل وجه مثال : ولا تقريرا الزنا ، ولا تتكلموا أنفسكم . وذلك يسمى نصاً ، وأما الذي لا يستقل إلا بقرونة فتكوله تعالى : أو يعطوا الذي بيده عقدة النكاح . وقوله : ثلاثة قروء » انظر المستقصى ١ / ٢٢٤

أيديولوجية يعكس جزءاً من ذلك نقولات كثيرة عنهم عندما يفرقون بين ألفاظ النص ومبانيه من جانب ، وروحه ومعقولة من جانب ثان ، فالنص ينطلق من فلسفة خاصة بمنشئته تعكس تصوره ومعتقداته الفكري . وتلك روح النص الأمر الذي يجعل من النص وحدة تنبثق حول فكرة معينة ، وتركيبه اللغوي عنصر واحد من طائفة من العناصر المتداخلة ، أما العناصر غير اللغوية في تحليل النص Extra linguistics فلا شك أنها أعملت عند العرب وعند سواهم ، كما أن هذا الربط المنهجي بين طائفة من العلوم بكل منجزاتها الحديثة وتوظيفها لتفسير دلالة (العلامة) أو النص في ضوء السيميولوجيا الحديثة ، فلا بد أن تسلم بأن ذلك من منجزات العلم الحديث وحده ، وأن جهود القدماء لا تعدو الإشارات إلى جزء من دلالة العلامة ، دون أن يكون لهذا الجهد فضل السيطرة على آلية علمية أو امتلاك وسيلة منهجية لها هذه القدرة على تحليل النص تحليلاً شمولياً على نحو ما يسعى المحدثون في إطار علم النص .

في ضوء الأنواع السابقة فإن هذا البحث لا يسعى للبحث عن الدلالة المعجمية ، ولا هو يطمح إلى تحديد دلالة النص الأكثر كثيفاً ، وإنما يكتفي بدراسة الدلالة التركيبية في إطار لساني خالص كما تبدو من خلال تناول نقر من العلماء العرب الذين عالجوا ظاهرة سياقية في الوقف ، وأبانتوا عن أثرها على هذا النوع من الدلالة .

الفصل الرابع
نظرية التزام

الفصل الرابع :

نظرية التلازم

إن أي باحث لغوي معاصر له أدنى قدر من الاتصال بعلم اللغة الحديث سيدرك بيسر أن العلماء العرب من خلال ما وصلنا من تراثهم اللغوي سواء ما خلفه اللغويون المخلص كالزليل وسيبويه وابن جني أم الذين أسهموا في خدمة اللغة وتحليل بنيتها لاتصال عملهم باللغة كالبلاغيين وعلماء أصول الفقه والمفسرين وعلماء القراءات القرآنية ، إن ما خلفه هؤلاء وأولئك يعكس بوضوح في فهم لغتهم ثاقباً ورؤية في تناولها يمكن وصفها بالعلمية بكل ما يعنيه هذا المصطلح اليوم .

فقد نظر هؤلاء وأولئك إلى اللغة بوصفها نظاماً منضبطاً يتكون من وحدات ذات مواصفات خاصة (يحددها علم الصرف) وتتعلق هذه الوحدات داخل الجملة وتتلازم فينشأ عن هذا التلازم معنى نحوي يتغير بتغير العلاقة التي تربط هذه الوحدات (ويتم ذلك طبقاً لضوابط علم النحو) . وحديث عبد القاهر الجرجاني وأمثله في نظرية النظم يدل دلالة واضحة على هذا الفهم^(١) ، ويعتقد علماء الوقف والابتداء فصلاً مهماً في ذلك يكشفون به عن أن فلسفة التلازم بين وحدات التركيب إنما تمثل وجهة نظر لغوية عامة عند العلماء العرب برغم أن الشائع هو أن فكرة التعليق جرجانية النسب . فإن جوهر الفكرة موجود عند غيره من العلماء ، ومنهم علماء الوقف والابتداء . وتتمثل فيما أسميته .. « بنظرية التلازم » عندهم . وإذا ارتضيت تقييد مصطلح التلازم بأنه : « تعلق وحدتين لغويتين أو عنصريين تحويين بعضهما

(١) انظر دلائل الإيجاز القرآني ص ٦٤ .

ببعض ، أو أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين التحويين عنصراً آخر ، وهو شكل من أشكال التضام^(١) .

إذا ارتضيت التحديد السابق لفهوم (التلازم) فإن ما يترتب على هذا التلازم من تأثير على وظيفة التركيب ودلالاته يكمل تصورهم ويجعل فكرة علماء الوقف عن التلازم تتلقى مع فكرة التطبيق الجرجانية ، وليس هذا إسقاطاً خاصاً على تصورهم بل هو حقيقة ما قالوه نصاً ، وما مارسوه فعلاً ، وهم يعتقدون هذا الباب .

فحين عقدوا باباً كاملاً يذهبون فيه إلى ضرورة التفات القارئ إلى الوحدات المتلازمة وأهمية التنبيه لعدم جواز الفصل بينها لما يترتب على ذلك من اختلاف فسي العلاقات ، وتبدل في المعانسي والدلالات . كانتوا يضمون أيديهم على قيمة تركيبية عامة تلغى بها مثل هذه العلاقات التركيبية Syntactic relations في التأثير على المعنى .

ونظراً لارتباط فكرة الوقف بفكرة التلازم ، لأن الوقف قطع أو فصل والتلازم ربط أو ضم ، فالوقف على موضع معين لا بد ألا يتعارض مع قانون التلازم بحيث لا يقع بين متلازمين . يقول الأشموني : « اعلم أن كل كلمة تعلقت بما بعدها ، وما بعدها من تمامها لا يوقف عليها »^(٢) .

وقد جاء نص ابن الأنباري في حصر المتلازمات واضحاً ، ومميزاً الخلفية النحوية لقضية الوقف ، إذ الموضوع برمته ليس إلا إمكانية الفصل بين وحدات التركيب أو عدم إمكان ذلك . وهذا الفصل بين المتلازمات ليس

(١) انظر العربية معاً وما يمتد بها من ٢١٧ .

(٢) المنار من ١٧ .

فصلاً لفظياً فحسب بل هو فصل ذو أثر مباشر على المعنى . فالحقة ليست ميانى ترمز ، بل ميان تتلازم وتتعلق وفق ضوابط منظمة لتؤدي معاني محددة يقول ابن الأنباري : (اعلم أنه لا يتم الوقف على المضاف دون المضاف إليه ، ولا على المنعوت دون النعت ، ولا على الراجع دون المرفوع ، ولا على المرفوع دون الراجع ، ولا على المنصوب دون الناصب ، ولا على المؤكّد دون التوكيد ، ولا على المنسوق دون ما تسقته عليه ، ولا على إن وأخواتها دون اسمها ، ولا على اسمها دون خبرها ، ولا على كان وليس وأصبغ وأخواتهن دون اسمها ولا على اسمها دون خبرها ولا على ظننت وأخواتها دون الاسم ، ولا على الاسم دون الخبر ، ولا على المقطوع منه دون القطع ^(١) ، ولا على المستثنى دون المستثنى منه ، ولا على المفسر عنه دون التفسير ^(٢) ، ولا على المترجم عنه دون المترجم ^(٣) ، ولا على الذي وما ومن دون صلاتهن ، ولا على صلاتهن دون مهرجهن ^(٤) ، ولا على الفعل دون مصدره ، ولا على المصدر دون ألقه ، ولا على حروف الاستفهام دون ما استفهم بها عنه ، ولا على حروف الجزاء دون الفعل الذي يليها ، ولا على الفعل الذي يليها دون جواب الجزاء ، فإن كان جواب الجزاء مقدماً لم يتم الوقف عليه دون الجزاء ، ولا على الأمر دون جوابه ، والفاء تنصب في جواب ستة أشياء ، هي جواب الأمر والنهي والاستفهام والوجود والتمني والشكوك ^(٥) ، لا يتم الوقف على هذه الستة دون الفاء ، ولا يتم الوقف على الأيمان دون جواباتها ، ولا على حيث دون ما بعدها ، ولا على أسماء الإشارة دون البعض ، ولا يتم الوقف على المصروف

(١) يقصد صاحب الحال والحال .

(٢) يقصد صاحب التمييز والتمييز .

(٣) يقصد الجدل منه والجدل .

(٤) يقصد رافع الاسم الموصول عندما يكون الأخير مهلاً ، وهو الشير عند الكوفيين .

(٥) يقصد بالشكوك إليها .

عنه نون الصرف^(١) . ولا على الجحد نون المجحد ، ولا على (لا) في النهي دون المجزوم ، ولا على (لا) إذا كانت بمعنى غير نون الذي بعدها ، ولا على (لا) إذا كانت تبرزنه نون الذي بعدها ولا على (لا) إذا كانت تؤكد للكلام غير جحد ، ولا على (لا) إذا كان الحرف الذي قبلها عاملاً في الذي بعدها ، فإن كان غير عامل صلح للمضطر أن يقف عليه ، ولا يتم الكلام على الحكاية دون المحكي ، ولا على (قد وسوف ولما وإلا ثم) : لأنهن حروف معان تقع الفائدة فيما بعدهن .

ولا يتم الوقف على (أو وول ولكن) لأنهن حروف نسق يعطف ما بعدهن على ما قبلهن^(٢) ، وتلخص عبارة الأشموني التي سبق نقلها هذا النص الطويل : (اعلم أن كل كلمة تعلقت بما بعدها ، وما بعدها من تمامها لا يوقف عليها) .

والذي دعاني إلى نقل نص ابن الأنباري هو أنه إيضاح مفصل لفكرة التلازم ، وعلى حين وثقت فكرة التعليق الجرجانية عند مستوى التنظير والإيضاح للفكرة من خلال طائفة من الأمثلة ، نجد أن نظرية التلازم بين الوحدات أخذت سبيلها إلى التطبيق العملي الكامل من خلال بيان مواضع

(١) الصرف في هذا السياق مصطلح كوفي مقصور به الإشروب والمخالفة ، ومثال ذلك حين نقى بمضارع منصوب بعد عاطف ، ومسبق بنفي أو طلب ، ولا يشارك ما بعد العاطف (المصروف) ما قبله (المصروف منه) الحكم ، أي يخالف المعطوف المعطوف عليه الحكم ، مثل : لا تكل السيلك وتشرب اللبن ، فالشرب لا يدخل مع الأكل في حكم النهي ، ومنه قوله تعالى : (ولا يعلم الله الذين جاءكموا منكم ويعلم الصابرين) فتقوله : (ويعلم) مخالفة لما قبله (لا يعلم) في حكم الجزم ، ومنه على ذلك لا يجوز الوقف على قوله (منكم) : لأن قوله (ويعلم) متعلق بما قبله . إذ الأخير منصوب على الصرف أو المخالفة لما قبله . انظر الإنصاف ٥٦ هـ . ومغني اللبيب ١ / ٣٦٦ ومعاني القرآن ١ / ٢٣ - ٢٤ ، ٢٣٥ / ٢٣٦ وماش إيضاح الوقف ١ / ١١٨ .

(٢) انظر إيضاح الوقف والابتداء ١١٦ / ١١٩ .

الوقف الجائزة وغير الجائزة على امتداد نص كامل هو النص القرآني . ففي الوقفين التام والكافي تنتفي العلاقة اللفظية ويجوز الوقف ، وقد توجد العلاقة اللفظية ويجوز الوقف متى استقام المعنى في الوقف الحسن ، ولا يكون ذلك التعلق اللفظي الذي يجوز معه الوقف إلا مع نوع من المتلازمات الأقل قوة ، وهو ما يعني أن التلازم بين الوحدات درجات متفاوتة في القوة ، ولا يجوز الوقف بين متلازمين من الدرجة الأولى في القوة ، ومن المتلازمات القوية : التلازم بين المضاف والمضاف إليه ، والابتداء والخير ، والعسلة والموصول ، والناسخ والمنسوخ وهكذا . وهناك متلازمات أقل قوة كالبديل والمبدل منه ، المنسوق والمنسوق عليه ، التعت والمنعوت ... الخ . وسيأتي تفصيل ذلك فيما بعد ..

أعود إلى نص ابن الأنباري فاسجل عدداً من الملاحظات الهامة من وجهة نظر البحث ، وذلك على النحو التالي :

١- أنه بدأ المتلازمات ، بالتلازم بين المضاف والمضاف إليه ، وهي بداية موفقة ، تعكس إدراكاً لقوة العلاقة بينهما ، إذ هما من أقوى المتلازمات ، أو هما كما يقول النحاة كالصرف الواحد ، فالمعنى لا يتم إلا بهما ، وهو تلازم لا يمكن فصل عنصريه دون أن يضيع المعنى أو يفسد . وقد ختم المتلازمات بالتلازم بين المعطوف عليه والمعطوف ، وسيتمين بعد قليل أن قوة التلازم بينهما من النوع الثاني الأقل قوة ، وهو ما يعني أنه يدرك أن المتلازمات صنفان ، قوي بدأ به ، وآخر أقل قوة ، ويختم به المتلازمات . ويرغم هذه الملاحظة العامة فإننا نجد قد ثني عرضه بالتلازم بين التعت والمنعوت ، وفي علاقة أقل قوة وتنتمي إلى

النوع الثاني ، وقد حشرها بين طائفة من المتلازمات القوية ، أو السلسلة البنيوية المتينة ، ومن بينها المضاف والمضاف إليه ، المسند والمُسند إليه (الرفع والمرفوع والمرفوع والرفع) ... الخ ، وكان المنطق يقتضي أن يتابع ذكر المتلازمات القوية ويتبعها بالأقل قوة .

٢- أنه كان يفصل في ذكر بعض المتلازمات تفصيلاً ، ويغفل ذكر بعضها تماماً على غير نظام دقيق ، وتلك أمثلة على ذلك :

١- قوله : « والقاء تنصب في جواب ستة أشياء ، والعبد هنا غير دقيق ، حيث ذكر فيه بعض أنواع الطلب دون بعض ، فالتحضيض والعرض من الأنواع التي لم يذكرها ، ولها نفس الحكم ... والقاء لا مشاحة تنصب في جوابهما من ذلك في التحضيض قوله تعالى : ﴿ لولا أخرجتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ ، وهو كغيره من الأنواع يتلزم ما يعد القاء مع ما قبلها ، ومن ذلك في العرض قول الشاعر ،

يا ابن الكرام ألا تدثوا فتبصر ما قد حدثوك فيما رام كن سعيًا

فالفعل تبصر منصوب يعد القاء ، والتلزم في المعنى وأصبح ، ومعها لا يجوز الفصل بين تدثرو من جانب وتبصر من جانب ثانٍ .

ب- ومن التفصيل في بعض التعاذج وإفعال البعض الآخر قوله (ولا على كان وليس وأصبح ولم يزل وأخواتهن نون أسماها) ولماذا هذه ذكرت ، وتلك أجملت ؟ لا أدري . ألا قال كان وأخواتها فأجمل وأغنى قوله .. وفصل الحديث في الحرف (لا) تفصيلاً ، ولم يذكر حروفاً أخرى كثيرة لها هذا المتنوع في المعاني والوظائف ويتعلق ما بعدها مع ما قبلها لفظاً ومعنى ويدخل في ذلك جل حروف المعاني ، ونجده يعدد بعض حروف النسق نون

بعض . ومما أفتقروا ذكره ، وهو من التلازمات القوية الجار والمجور ، : ع أن
النصل بينهما بالوقف قبيح بإجماع .

٢٢ - ملاحظة ثالثة وأخيرة أن أحكام الوقف بين التلازمات يختلف من نوع
لآخر فمارة يكون الوقف بين التلازمات قبيحاً لأنه يفسد المعنى التلازمي
يكون غير تام ، وهو مصطلح عندهم يفهم منه أن المعنى لا يفسد ولكنه
غير مكتمل . وهي درجة بين الوقف الحسن الجائز والقبيح غير المأمور
به . وقد ساعد ذلك على التمييز بين مستلحقين من التلازمات . الأول هو
التلازمات القوية والتي يعد الوقف بين منصريها وقفاً قبيحاً ،
والتلازمات الأقل قوة ، والتي يكون الوقف بين منصريها غير تام . فعن
التلازمات القوية ما يلي (١) :

١ - الفصل بين المضاف والمضاف إليه مثل

« صبيغة الله ومن أحسن من الله صبيغة » (البقرة ١٣٨) - الوقف على
(الصبيغة) . الأول قبيح .

« وتعدت كلمة ربك الحسنى » (الأعراف ١٢٦) - الوقف على (كلمة) قبيح

٢ - الفصل بين الواقع والمرفوع مثل

قال الله « (١٥٥: ١٦٥) الوقف على (قال) قبيح

« وإذا يتولى إبراهيم ربه » (البقرة ١٢٦) الوقف على (يتولى) قبيح

٣ - الوقف على المرفوع دون الواقع مثل

(١) لا يشترط هنا في أمثلة بين الأجنبي ، وكذلك أحكام الوقف بين المستلحقين من التلازمات . ولا بد
تفاوت أحكام غير في نفس التواضع

- الحمد لله رب العالمين » [الفاتحة ٢] الوقف على (الحمد) قبيح ^(١) .
- الله خالق كل شيء » [الرعد ١٦] الوقف على (الله) قبيح .

٤-٤- الوقف على الموصول دون الصلة مثل :

- قال الذين يظنون » [البقرة ٢٤٦] الوقف على (الذين) قبيح .
- أفرايت الذي تولى » [النجم ٢٣] الوقف على (الذي) قبيح .

٥-٥- الوقف على الناسخ دون اسمه وخبره مثل :

- إن إبراهيم لطيم أوأه منيب » [هود ٧٥] الوقف على (إن) قبيح .
- والوقف على (إبراهيم) قبيح .
- إن ربهم بهم يومئذ لخبير » [المائدة ١٦] الوقف على (إن) قبيح .
- والوقف على (ربهم) قبيح ^(٢) .
- وكان الله غفوراً رحيماً » [الفرقان ٧] الوقف على (وكان) قبيح .
- والوقف على (الله) قبيح .

٦-٦- الوقف على أنوات الشرط والاستفهام ، والجحد والنصب والجزم دون

معمولاتها ^(٣) مثل :

- (١) بناء على رأي الكوفيين فإن المبتدأ مرفوع بالخبر ، د (الحمد) مرفوع لا يفصل من الزايف (الله) على هذا الرأي ، أما البصريون فيرون أن المبتدأ مرفوع بالابتداء ، فهذا المثال طبقاً لرأي البصريين يفصل في النوع السابق أي الفصل بين الزايف (الحمد) والمرفوع (لله) إذ الخبر مرفوع بالابتداء .
- (٢) ذكر ابن الأنباري أن الوقف على (إن) و (ربهم) غير تام ، وهو يختلف بذلك ما ذكره في المثال السابق [هود ٧٥] ، وفي كل أمثلة الفصل بين الناسخ وموضوعه انظر إيفساح الوقف ص ١٢٦ . حيث إن الفصل في هذين الموضعين قبيح لا مشاحة .
- (٣) وأضيف هنا (وأنوات الجهر كذالك) .

- « إن يأت الأحراب » [الأحراب ٢٠] الوقف على (إن) قبيح .
 - « كيف تكلم من كان في المهد حسياً » [مريم ٢٩] الوقف على (كيف) قبيح .
 - « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به » [لقائه ١٧٧] الوقف على (ما) قبيح ^(١) .
 - « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » [البقرة ٢ ، ٦] الوقف على (لا) قبيح .
 - « لنلا يعلم أهل الكتاب » [الصيد ٢٩] الوقف على (لنلا) قبيح .
 - « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض » [البقرة ١١] الوقف على (لا) قبيح .
- ٧- الوقف على المميز دون التمييز مثل :

- « ملء الأرض ذهباً » [الإسراء ٩٢] الوقف على (الأرض) قبيح .
- « فإن طعن عن شيء منه نفساً » [النساء ١] الوقف على « شيء منه » قبيح .
- « فكلني واشربي وقري عينا » [مريم ٢٦] الوقف على (قري) قبيح .

المجموعة السابقة تمثل طائفة المتلازمات القوية التي يعد الفصل بين جزئها مفسداً للعلاقة الحميمة بين عنصرين تركيبين شديدي التلازم الأمر الذي يترتب عليه إفساد المعنى نتيجة لاختلال الوظيفة التي يتحول إليها كل ركن نتيجة للفصل ، ولهذا وجدنا الحكم على هذا الفصل أو الوقف هو القبح في كل المواضع السابقة .

وقد تردد ابن الأنباري بين إيراد الحال مع أمثلة الوقف القبيح التي جمعناها في الطائفة السابقة وبين ذكره مع أمثلة غير تام ، وهي التي وضعناها في الطائفة الثانية ، من ذلك قوله :

(وله الدين واصباً) [النمل ٥٢] ، الوقف على (الدين) غير تام لأن (واصباً) قطع منه . ويعد ذلك مباشرة يقول : في قوله تعالى : ﴿ يا أيها

(١) العرب تنجد بـ (ما ولا وليس وإن ولم وإن الفليقة) الإيشاج ١٢٩ .

الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ﴿١٠﴾ [المتحنته ١٠] الوقف على (المؤمنات) قبيح لأن (مهاجرات) في موضع نصب على القطع من المؤمنات (١).

فهو الفصل بين صاحب الحال والحال قبيح أم غير تام ؟

الرأي الذي أسترشح له أن الفصل بين صاحب الحال والحال غير تام لسببين :

الأول : أن الحال فضلة ، وهي ليست من ركني الجملة الأساسيين ، والمعنى لا يفسد بالفصل ، وإنما يظل غير مكتمل ، وذكر التمييز مع الطائفة السابقة لا يدحض ذلك لأن الفصل بين المميز والتمييز يؤدي إلى الغموض والإبهام ، وهو عنصر دلالي تتعاشاه أحكام الوقف التي تستهدف أصلاً إظهار المعنى وإيانتة .

الثاني : أنه من المنصوبات ، وكل التوابع والفضلات المنصوبة يطرد الحكم بالوقف على ما قبلها بأنه وقف غير تام ، وهو ما سيتضح من أمثلة المجموعة التالية .

ب- الطائفة الثانية : وقد قام البحث بضم الأمثلة التي يكون حكم الوقف بين المتلازمين هو (غير تام) في مجموعة ثانية تمثل المتلازمات الأقل قوة ، وسوف يتضح من استعراض أمثلة هذه الطائفة أنها تنضم المتلازمات من العناصر النحوية المكملة لركني الجملة الأساسيين . فعدم ذكر الصفة أو المستثنى أو المفعول أو التوكيد أو البديل أو المعطوف .. الخ لا يفسد

(١) انظر إيجاز الوقف ١ / ١٢٠ .

المعنى أو يحيله ، بل يجعله ناقصاً غير مكتمل فحسب ، وليس الفصل بين المسند والمسند إليه في درجة الفصل بين الصلة والموصوف أو الفعل ومفعوله مثلاً . ولهذا كان حكم الفصل بين العناصر النحوية الأكثر تلازماً هو القبح على حين أن الفصل بين العناصر النحوية الأقل تلازماً هو (غير تام) كما في أمثلة المجموعة الثانية . ومن نماذجها :

ب-١- الوقف بين الثمت والمنعوت مثل :

- (الحمد لله رب العالمين) [الثالثة ٢] الوقف على (لله) غير تام .
- (وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) [البقرة ٢٦ / ٢٧] الوقف على (الفاسقين) غير تام .

ب-٢- الفصل بين المستثنى منه والمستثنى مثل :

- (إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا) [البقرة ٢ / ٣] الوقف على (خسر) غير تام .
- (لا تبعثم الشيطان إلا قليلاً) [النساء ٨٢] . الوقف على (الشيطان) غير تام .

ب-٣- الوقف على المبدل منه نون البدل . مثل :

- (وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم) [السافات ١٢٠ / ١٢١] الوقف على (الخالقين) غير تام .
- (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم) [الثالثة ٦] . الوقف على (المستقيم) غير تام .

ب-٤- الوقف على الناصب نون المنصوب

- (ونادى نوح ابنه) [مود ٤٢] - الوقف على (نوح) غير تام .
 (وإذا ابتلى إبراهيم ربه) [البقرة ١٢٤] - الوقف على (ابتلى) غير تام ^(١) .
 ب-٥ - الفصل بين المؤكد وبين التوكيد مثل :
 (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) [عن ٧٢] الوقف على (الملائكة) غير تام .
 (فوريك لأغوينهم أجمعين) [عن ٨٢] الوقف على (لأغوينهم) غير تام .
 ب-٦ - الوقف على المنسوق دون ما نسقته عليه .
 (وسقر لكم الليل والنهار) [التعل ١٢] الوقف على (الليل) غير تام .
 (يسجد له من في السموات ومن في الأرض) [الص ١٨] -
 الوقف على (السموات) غير تام .
 ب-٧ - الوقف على القسم دون المقسم به مثل :
 (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) [الشمس ١/٢] -
 الوقف على (سجى) غير تام .
 (والعصر إن الإنسان لفي خسر) [العصر] - الوقف على (العصر) غير تام .

(١) سبق أن قلّم مثال : (وإذا ابتلى إبراهيم ربه) [٢-١] عند الحديث عن الفصل بين التامع والمرفوع ، وفي حينه قال ابن الأنباري إن الوقف على (ابتلى) قبيح ، لأن (الرب) مرفوع به ، [انظر إيشاج الوقف ١٢١] . وهذا في الفصل بين الناصب والمنصوب يقول عن نفس المثال : [إن الوقف على (ابتلى) غير تام لأن (إبراهيم منصوب به) (إيشاج الوقف ١٢٢) وهذا تناقض ظاهر ، فلا يمكن أن يكون الوقف على مرفوع وحينه قبيحاً وغير تام ، حتى لو كان المكمّل باعترافين مختلفين . والرأي حدي في هذا المثال خاصة أن الوقف على (ابتلى) قبيح لأن فيه فصلاً بين الفعل أو المرفوع من جانب وبين المفعول المقدم والفعل المؤخر (أو المنصوب والمرفوع معاً) من جانب آخر ، وهو أمس للحكم بالقبح لكونه أكثر إفساداً للملاقات النحوية ، وأكثر إخلالاً بالمعنى من مجرد الفصل بين المرفوع والمرفوع وهذه الذي يحكم له بالقبح وإجماع .

ب- ٨- وأخيراً الفصل بين حروف المعاني وما يليها . مثل :

(كلاً سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون) [الشكائر ٤ / ١] الوقف على (سوف) غير تام لأنها تصرف معنى ما قبلها إلى الاستقبال والفائدة فيما بعدها .

- (فلما تبين أنه عوق له تبرأ منه) [التوبة ١١٤] الوقف على (فلما) غير تام لأنها مع الفعل الذي بعدها بمنزلة شيء واحد .

- (ألا إنهم هم المفسدون) [البقرة ١٧] الوقف على (ألا) غير تام لأن (ألا) اغتتاج الكلام .

- (والسموات مطويات بيمينه) [الزمر ٦٧] الوقف على (مطويات) غير تام لأن (بيمينه) صلة متعلقة بمطويات ، ولا يتم معنى الوصول دون ما وصل به .

ومن ذلك أيضاً (ويا أخرة هم يوقنون) [البقرة ١] الوقف على (ويا أخرة) غير تام لأن الياء من صلة (يوقنون) (١) .

مما سبق يمكن القول : إن فكرة التلازم تمثل وجهة نظر لغوية عامة عند علماء العربية عامة ، والوقف خاصة ، وهي فرضية علمية ترى أن الوحدات داخل التركيب تربطها علاقات وظيفية متنوعة ، ومن بينها علاقة التلازم بين عنصرين نحويين في المبني والمعنى . وأن الفصل بالوقف بين هذين العنصرين المتلازمين يؤثر على الوظيفة النحوية والدلالة التركيبية معاً تائيداً تحدده طبيعة العلاقة بين المتلازمين ، فكما كانت العلاقة قوية أصبح الفصل

(١) انظر إضاح الوقف ٦ / ١٤٨ / ١٤٩ .

قريباً ، وإذا كانت العلاقة بينهما أقل قوة حكم على الوقف بكونه غير تام . وقد فصل البحث بين نماذج المتلازمات القوية من جانب والأخرى الخاصة بالمتلازمات الأقل قوة من خلال الأحكام التي أوردها لكل نوع منها فتبين أن المتلازمات القوية تضم العناصر التركيبية الأساسية كالسند والمسند إليه ، والعناصر الثنائية التي هي في درجة عنصر واحد ، كالمضاف والمضاف إليه ، الصلة والموصول ، وألحق بذلك عنصران يزيد الفصل بينهما إلى إبهام وغموض وهما المميز والتميز .

أما الطائفة الثانية فتشترك في الحكم العام (غير تام) وتضم العناصر التركيبية المعروفة بالتتابع والفضلات أو المكملات كالنعت والمنعوت ، صاحب الحال والحال ، المؤكد والتوكيد ، البديل منه والبديل ، الفعل والمفعول ، المستثنى منه والمستثنى ، الأنوات المختلفة ، وما تعلقت به .. الخ .

والمتبوع لإشكالية الوقف والابتداء سيتبين أن نظرية التلازم بين الوحدات تمثل مصوراً أساسياً يحكم كل قواعد الوقف والابتداء ، ويبرز أن ظاهرة الوقف تتعلق إن جازاً وإن منعاً بقانون العلاقة بين وحدات أو عناصر التركيب اللغوي ، وبدرجة قوة هذه العلاقة أو ضعفها تكون درجة الجواز أو المنع ، والأمر في مجمله مرتبط بما يترتب على هذه العلاقات أي : بصحة المعنى واستقامته فيجوز الوقف ، أو بعدم الصحة أو الخلل أو الفساد فيه فيمتنع الوقف .

الباب الثاني

اثر الوقف على الدالة الركيبية

الفصل الأول : أثر الوقف المباشر

الفصل الأول

أثر الوقف المباشر

يمثل الباب الثاني الشق التطبيقي الذي يعالج أثر الوقف على الدلالة التركيبية من خلال النصوص ، بعد أن سبق معالجة كل الإشكاليات النظرية المتعلقة بالبحث في الباب الأول .

وفي هذا القسم التطبيقي يتبين أن هذا الأثر يبدو في شكلين
الأول : أثر يرجع للوقف وحده بصرف النظر عن أية ظواهر تركيبية أخرى.

الثاني : أثر الوقف مع عدد آخر من الظواهر التركيبية .

ويتركز البحث في هذا الفصل على النقطة الأولى وحدها ، حيث يرصد البحث طائفة من الأمثلة ثم يسجل التغيرات التي تطرأ على الدلالة التركيبية إذا تغير موضع الوقف . وهذه الأمثلة هي مجرد عينة بحثية لا ترصد كل أنواع التغير التي تطرأ على دلالة التركيب بتغير موضع الوقف ، بل تسجل البعض ليعكس نظائر أخرى مماثلة لم يرصدنا البحث .

ومن الجدير بالتسجيل أن الدلالة التركيبية ، بوصفها -كما سبق القول - الدلالة أو المعنى الناشئ عن العلاقة بين وحدات التركيب ، والعلاقات التركيبية متنوعة والعوامل المؤثرة متنوعة كذلك ، ونادراً ما يتحكم في توجيهها عامل واحد فقط . فالوقف مجرد عنصر من العناصر التي يمكن أن توجه دلالة التركيب ، لكن الغالب الأعم هو أن يشارك الوقف قرائن سياقية أخرى تلعب

نفس الدور في التأثير على دلالة التركيب ، وما أكثر ما انتصافه القرائن في توجيه المعنى وهذا هو الأصل . فالنبر والتنظيم يثاركان الوقف نفس الخاصية ، وكذلك قرائن السياق المتنوعة كالعلامة الإعرابية ، واختلاف نوع الصيغة ، واختلاف الوظيفة النحوية وقرينة الاستاذ ، وقرينة الحذف ، وغيرها ، الأمر الذي يفسر لنا الإيجاز هنا والتفصيل هناك في الفصلين القادمين ، حيث يتناول هذا الفصل أثر الوقف وحده على حين يتناول البحث في الفصلين القادمين أثر الوقف مع قرائن أخرى .

فمن الصور المختلفة لأثر الوقف وحده على الدلالة التركيبية مايلي :

١ - وقف يدفع توهم البدلية مثل :

١ - ١ - في قوله تعالى : **وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم** [النساء ١٥٧] هنا وقف ، ثم يبتدئ القارئ : (رسول الله) فوجود الوقف هنا يدفع توهم أن يكون (رسول) بدلاً من (المسيح) ؛ لأننا لو جمعنا لفظ (رسول) بدلاً لكان معنى هذا أن اليهود وهم أصحاب الضمير في (قولهم) يقولون بأن المسيح رسول الله ، وهم لم يقولوا بذلك ، فالتفحص الأمر أن نوقف نرفع هذا المعنى ، واعتبار لفظ (رسول) منصوباً بفعل محذوف تقديره : (أعني) ^(١)

١ - ٢ - ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : **فكذلك أرسلنا بعضهم عثر بعض** [البقرة ٦٧] هنا وقف ، ثم يبتدئ القارئ : (منهم من أكرم الله) فلو وسادنا الكلام لجاز اعتبار (منهم) بدلاً من قولهم (بعضهم) وهو ما يداني أن من أكرمهم الله تفضل معن لم يكلمهم ، وبدلاً لهذا التوهم الذي يذهب

١ - ملحق شكري ١٢١ ومعارى القوي من ١٢ و ١٣

عن الوصول ، جاء الوقف على قوله : (على بعض) ، واعتبار (منهم من كلم الله) جملة استثنائية (مكونه من (منهم) شبه جملة مقدم ، و(من كلم الله) مبتدأ اسم موصول + جملة صلة^(١) .

وبهذا لا يفهم أي شكل من التفضيل لمن كلمهم الله على من لم يكلمهم ، وهو ما ذهب إليه أكثر المفسرين والعربيين .

ب - وقف يدفع توهم المفعولية : -

ب - ١ - من ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : (ولا يحزنك قولهم) [يونس ٦٥] هنا وقف ثم يبتدئ القارئ : (إن العزة لله) لتلايتوهم السامع أن قوله : (إن العزة لله) من مقولهم ، وعليه ترجيح أن تكون جملة (إن العزة لله) استثنائية^(٢) .

ب - ٢ - ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة) [الأنعام ٧٣] هنا وقف ثم يبتدئ القارئ : (وما من من إله إلا إله واحد) لتلايتوهم السامع أن قوله (وما من من إله إلا إله واحد) من مقول الذين كفروا ، على حين أن الوقف واعتبار ما بعده جملة استثنائية للاضراب يدفع التوهم السابق^(٣) .

ب - ٣ - ومن دفع توهم المفعولية أيضاً قول الحق سبحانه : (وقد كفروا بما

(١) - انظر البيان في غريب إعراب القرآن ١/٦٦٧ ، والبيان في إعراب القرآن ١/٢٠١ والنشر ١/٢٣٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١/١٣٥ .

(٢) انظر النشر ١/٢٣٢ ، والبيان ٢/٦٦٩ .

(٣) راجع البيان ١/٤٥٢ والنشر ١/٢٣٢ .

جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم) [المتعة^(١)] هنا وقف ضمن للبيان ثم يبتدئ القارئ (أن تؤمنوا بالله) لأنه لو وصل لأوهم أن (أن تؤمنوا) مفعول به على التحذير من إياكم ، وهو لا يريد أن يقول : إياكم أن تؤمنوا ؛ لأنه لا يعقل أن يحذروهم من الإيمان بالله ، بل المعنى إما أن يكون ^(٢) .

- يخرجون الرسول وإياكم ، لإيمانكم بالله . (أن تؤمنوا) على موضع المفعول لأجله . ويمكن أن يكون المعنى :

- يخرجون الرسول وإياكم ، لتلازموا بالله . أي كراهة أن تؤمنوا بالله .

ب - ٤ - ومن ذلك أخيراً قول الحق سبحانه وتعالى : (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقتنا) [يس ٥٢] ثم يبتدئ القارئ : (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) لتلايتهم السامع أن (هذا ...) من مقول الكافرين ، بل الوقف يفرق بين قول الكافرين ، وجواب الملائكة ^(٣) .

ج - وقف يدفع توهم الوصفية :

ج - ١ - ففي قوله تعالى : (وكذلك حققت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار) [غافر ٦] الوقف هنا تام ثم يبتدئ القارئ : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به) [غافر ٧] فالوقف على (أصحاب النار) يدفع توهم أن جعله (يحملون العرش) صفة لهم ، وهو معنى ظاهر اللفظ . ويحملون العرش جعله استثنائية منقطعة عن ما قبلها ^(٤) .

(١) راجع إشباح الوقف ٩٣٩/٢ . والمكتفى ٥٦٢ . ومشكل مكى ٧٢٨/٢ ومعاني الفراء ١١٩/٢ .

(٢) انظر القطع والاشتغال ٩١ .

(٣) راجع المكتفى ٤١٩ . ومعار لهدى ٢٢٧ والنشر ٢٢٩/١ .

ج - ٢ - ومن ذلك قوله تعالى : (ولا تدع مع الله إلهاً آخر) [النصر:٨٨] ثم الابتداء بقوله : (لا إله إلا هو) لئلا يوهم أن الجملة الأخيرة صفة لقوله (إلهاً آخر) .^(١) حاشا لله أن يكون له شريك .

ج - ٣ - ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (خير من ألف شهر) [القدر:٢] والابتداء بقوله : (تنزل الملائكة والروح فيها) [القدر:٤] لئلا يوهم أن الجملة الأخيرة صفة للألف شهر على حين أن المعروف أن الضمير في (فيها) عائد على ليلة القدر . وجعله (تنزل) استثنائية .

د : وقف يدفع توهم الحالية مثل :

د . ١ - من ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) [البقرة:٨] هنا وقف كاف للبيان . ثم يبتدئ القارئ : (يخادعون الله ...) [البقرة:٩] لأنه لو وصل الكلام لأوهم أن جملة (يخادعون) حال من الضمير (هم) وهذا يوجب نقس يخدعونهم . والمعنى على إثبات الخداع . والأفضل اعتبار جملة (يخادعون) استثنائية لامحل لها من الإعراب^(٢) .

د . ٢ - ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : (ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً) [مريم:٨٦] ثم يبتدئ القارئ (لا يملكون الشفاعة) [مريم:٨٧] ويدفع القارئ بالوقف أن يتوهم السامع كون جملة (لا يملكون) حال من (المجرمين) ويكون المعنى في

(١) انظر النشر ١/٢٣٣ .

(٢) السابق نفس الصفحة

(٣) انظر التبيان في إعراب القرآن ١/٢٤٠ ، وإيضاح الوقف ١/١٩٦ ، والتبيان في غريب إعراب القرآن ١/٤١ ، والمشكل في إعراب القرآن ١/٧٧/٧٨ .

ضموم الوقف إما : من اتخذ عند الرحمن عهداً فإنه يملك الشفاعة . أو لا يملك الشفاعة غير من اتخذ عند الرحمن عهداً .^(١)

د . ٣ - ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وما كان لهم من أولياء ﴾ [هود-٢] هنا وقف ثم يبتدئ القارئ (يضاعف لهم العذاب) [هود-٢٠] لتلاويهم الحالية ، على حين أن جملة (يضاعف) مستأنفة بمعنى أولئك يضاعف لهم العذاب بما كانوا يستطيعون السمع .^(٢)

هـ - وقف يدافع اللبس فمن هو الضمير عن ذلك .

هـ - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فأنزل سكينته عليه ﴾ [التوبة-٤] هنا وقف، ثم يبتدئ القارئ : ﴿ وأيده بجنود لم تروها ﴾ [نبي-١١] لتلاييلبس الأمر فيفهم السامع أن الضمير في قوله (عليه) هو الضمير في قوله (وأيده) على حين أن الضمير في القول الأول يعود على أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، والضمير في قوله (وأيده) يعود على الرسول عليه الصلاة والسلام ، فحسن الوقت دفعاً لما يمكن أن يقع بين الضميرين من لبس .^(٣)

هـ - ٢ - ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزوه وتوقروه ﴾ [التح-١] هنا وقف بيان ، ثم يبتدئ القارئ : ﴿ وتسيحوه

(١) راجع معاني الزجاج ٢٤٦/٢ . ومعاني القراء ١٧٢/٢ . والنشر ٢٢٢/١ ومعار الهدى ٢٢٢ .

(٢) انظر النشر ٢٢٢/١ والتبيان ٦٩٢/٢ . ومعاني الزجاج ٤٥/٢ ومعاني القراء ٨/٢ .

(٣) انظر التبيان ٦٤٤/٢ . والتبيان في حريب إعراب القرآن ١٤٠/١ . والمشكل في إعراب القرآن ٢٢٩/١ والكتلى ٢٩٣ .

بكرة وأصيلاً ﴿ فالوقف يفصل بين الضمير في قوله (وتوقروه) الذي يعود على النبي عليه الصلاة والسلام ، والضمير في قوله (وتسبحوه) الذي يعود على الحق سبحانه وتعالى ، وأوصلنا ، لانتيس عود الضمير في قوله (وتسبحوه) هل يعود على القريب وهو الرسول أم على السابق الأول وهو الله ، وبالوقف تدفع هذا اللبس ، وتذكر أن الضمير في (وتوقروه) يعود على غير ما يعود عليه الضمير في (وتسبحوه) . (١)

ز - وقف يدفع توهم المشاركة في الحكم أو العامل من ذلك :

ز - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إن الذين جاورك بالإفك مصيبة منكم لا تحسبوه شراً بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم ﴾ [النور ١١] هنا وقف بيان ثم يتدنى القارئ ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ فلو وصلنا الكلام ﴿ لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم ... ﴾ لسويتنا في الحكم بين نوعين مختلفين النوع الأول بعض المؤمنين في قوله (منهم) والنوع الثاني المنافق عبد الله بن أبي وهو المقصود بقوله (والذي) ولأن حكم الأولين يخالف حكم الأخير فقد جاء الوقف ليفصل بينهما دفعاً للتسوية بين من لا يتفقون في الحكم . (٢)

ز - ٢ - ومن دفع توهم المشاركة في العامل قول الحق سبحانه وتعالى :

(١) انظر المخطئ ٢٩ ، والنشر ١/٢٢٢ ، والفتاوى ٢٦٤ .

(٢) انظر المخطئ ١٠٩ ، والفتاوى ٢٦٦ .

﴿ وائل عليهم نبأ ابني آدم ﴾ [البقرة: ٢٧٠] هنا وقف ثم يتدنى القارئ ﴿ إذ قريبا قريانا ﴾ فليس الطرف (إذ) معمولاً للفعل (وائل) لأن زمن التأني (عهد النبي عليه الصلاة والسلام) غير زمن التقريب (عهد ابني آدم) . ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى ﴾ [البقرة: ٢٤٦] هنا وقف ثم يتدنى القارئ بقوله تعالى : ﴿ إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا ﴾ [البقرة: ٢٤٦] لتلاويهم الوصل أن عامل (إذ) هو الفعل (تر) علماً بأن زمن الرواية ليس هو زمن القول.^(١)

ج - وقف يدفع توهم العطف وهو قريب من غاية الوقف في التمهيد بين السابقين إذ العطف يفيد المشاركة ، و القطع يدفع معنى المشاركة ، ومن نماذج ذلك :

ج - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ [الزمر: ٢٢] هنا وقف ثم يتدنى القارئ : ﴿ والذي جاء بالصدق .. ﴾ [الزمر: ٢٣] لتلاويهم مشاركة اللاحق (الذي) للسابق (الكافرين) في المصير ، وقد مر من نماذج ذلك كثير في أمثلة الوقف القبيح .^(٢)

معاسيق يتبين أن الوقف في بعض المواضع يؤدي إلى توجيه معنى التركيب وجهة معينة ، على حين أن الوصل يغير المعنى في نفس الموضع إلى وجهة أخرى ، وهو أثر ينشأ من تأثير الوقف مباشرة ، ومما هو جدير بالملاحظة في هذا المقام أن طائفة الأمثلة السابقة التي تبرز أثر الوقف وحده

(١) ومن ذلك أيضاً الآية ٧١ من سورة يونس ، انظر البيان ١/١٩٤ ، والنشر ٢٢٢ .

(٢) انظر المكلف ١٤٨/١٥٤ ، والنشر ٢٢٢ ، والمآثر ١٢ .

إنما تكون غالباً في حالة وقف لا يفسد المعنى لأنه ليس بين وحدات شديدة التلازم، بل الوقف يدفع توهم علاقة بين متلازمين مما سماه البحث النوع الثاني أو الدرجة الثانية ، أي بدون الوقف تقوم علاقة بدلية أو وصفية أو حالية أو عطف أو عود ضمير أو مفعولية الخ ، وبالوقف تنتفي هذه العلاقة ، على حين أن الوقف لا يمكن أن يقع بين متلازمين من الدرجة الأولى ، وتأثيره هنا إنما يكون تأثيراً سلبياً ، بمعنى أنه يفسد المعنى ، وهذا هو الأثر الذي يؤديه الوقف القبيح . حين يقع بين الفعل والفاعل أو الصلة والموصول أو المضاف ومما أضيف إليه أو المبتدأ والخبر .. الخ وقد سبق التمثيل له بما فيه الكفاية عند استعراض أنواع الوقف المختلفة في الفصل الثاني من الباب الأول .

وليس معنى الكلام السابق أن كل فصل بين متلازمين من النوع الثاني لا يفسد به الكلام ، بل من الممكن أن يفسد المعنى في بعض حالات الفصل بين متلازمين من هذا النوع من ذلك قراءة قوله تعالى : فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) بالوقف على (المصلين) وفقاً يفصل بين الموصوف والصفة ، ومن ذلك قراءة قوله تعالى : (ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) بالوقف على قوله (الصلاة) وفقاً يفصل بين صاحب الحال الواو في قوله (ولا تقربوا) وبين الحال (وأنتم سكارى) .

ولكن المقصود أن الوقف لنفي علاقة مفترضة بين متلازمين من الدرجة الثانية يمكن أن يوجه المعنى ، وبهذا يكون الأثر إيجابياً ، أي أن تأثير الوقف في هذه الحالة يكون بإظهار معنى وبيان دلالة ما كانت لتظهر مع الوصل ، بل يكون عدم الوقف مؤدياً لمعنى غير مقصود ، أما الوقف بين متلازمين من النوع الأول فإن أثره غالباً يكون سلبياً بمعنى أنه يفسد المعنى في أكثر الأحيان وقلماً ينشأ عنه معنى إيجابي .

الغسل الثاني

اثر الوقف مع قرينة اخرى

الفصل الثاني

أثر الوقف مع قرينة أخرى

في الفصل السابق ركز البحث على أثر الوقف وحده على دلالة التركيب ، وهنا يعرض البحث لأثر الوقف ومعه قرينة أخرى ، وفي هذا الفصل يندرج التأثير على الدلالة من ناحيتين ، إحداهما الوقف ، وكما أشار البحث في الفصل الخالف مباشرة فإنه من النادر أن يستقل الوقف وحده بالتأثير على الدلالة التركيبية ، فهو عنصر واحد فقط من العناصر المؤثرة ، وأغلب ما يقابلنا الوقف مشاركاً مع عنصر أو أكثر من عنصر في هذا التأثير ، الأمر الذي يبرز تنوع الأمثلة وكثرتها التي تكشف عن عمق الأثر الذي يلعبه الوقف حين تتضافر معه القرائن الأخرى ، وقد قسم البحث هذه الأمثلة المتنوعة قسمين :

القسم الأول : أثر الوقف ومعه قرينة أخرى

القسم الثاني : ما اجتمع فيه الوقف مع قرينتين فأكثر .

ومن نماذج القسم الأول ينصب التناول في هذا الفصل ، على حين يعالج الفصل الثالث والأخير من هذا الباب أمثلة القسم الثاني .

وحيث يرصد البحث عدداً من القرائن التي تتعاون مع الوقف في التأثير على المعنى فإن ذلك لا يعني حصراً لكل القرائن من جانب ، كما لا يعني أفضلية للقرائن التي ذكرت على غيرها معالم يعرض له البحث من جانب ثانٍ ، بل الأمثلة هنا هي عينة تمثل هذا التعاون فحسب بين قرينة الوقف وكل قرائن السياق اللفظي منها والمعنوي على سواء . وتلك طائفة من الأمثلة تقفنا على تعاون قرينة الوقف مع قرينة أخرى .

١ - اجتماع الوقف مع قرينة العلامة الإعرابية .

من المعلوم أن العلامة الإعرابية هي رمز لقوى دال على وظيفة نحوية ، وهي واحدة من أخطر القرائن السياقية تأثيراً على دلالة التركيب ، فإذا تم استبدال حركة إعرابية بأخرى ، فإن ذلك يحمل إلينا دلالة معينة نفهم منها اختلاف الوظيفة النحوية التي تحملها الكلمة داخل التركيب ، وقد لا تتغير العلامة الإعرابية ومع هذا يمكن أن تختلف الدلالة الوظيفية لنفس الكلمة اعتماداً على قرينة أخرى ، فتغير دلالة الكلمة وظيفياً يتأثر بالعلامة الإعرابية تأثيراً قوياً نون أن يعنى هذا أنها القرينة الوحده التي تتحكم في تحديد هذه الدلالة وظيفياً وتركيبياً ، وقد تتعاون قرينة الوقف مع قرينة العلامة الإعرابية في هذا التأثير ، وتكشف الأمثلة التي تناولها البحث عن الكثرة التي تبرز خصوصية هذا التعاون ، لدرجة يمكن معها القول : إن العلامة الإعرابية من أكثر القرائن السياقية التي توجه دلالة التركيب بالتعاون مع قرينة الوقف ، ونحن نعلم أن أحد مظاهر الاختلاف بين القراءات القرآنية قد تمثل في اختلاف العلامة الإعرابية لكلمة ما ، كأن يرفع أحدهم كلمة وينصبها آخر ، أو ينطلقها أحدهم بحركة بناء وآخر بحركة إعراب ، وتبعاً لاختلاف الحركة تختلف الوظيفة النحوية للكلمة ويتغير معنا التركيب ، وقد يقف قارئ في موضع معين فيكون لذلك مع ضبط الكلمة ضبطاً معيناً معنى ، ومع ضبط آخر معنى مخالف ، وهو ما يعنى أن التأثير على المعنى يمكن أن يكون بمشاركة قرينتين الوقف من جانب واختلاف العلامة الإعرابية من جانب ثان . وهنا يجمل استعراض أمثلة متنوعة من اختلاف الضبط واختلاف الوقف وما ترتب على ذلك من اختلاف المعنى ، وذلك على النحو التالي :

وحيث يكون الفعل مرفوعاً فثمة تخريجان :

١ - أن يكون الرفع على الاستئناف ، وهنا يجوز الوقف على (يكذبون) .
ويكون المعنى في ضوء ذلك : إني أخاف أن يكذبون ، ومن أجل ذلك
يضيق صدري ولا يتعلق لساني .

ب - أن يكون الرفع عطفاً على (أخاف) فلا يوقف على (يكذبون) ويكون
المعنى : إني أخاف ويضيق صدري ولا يتعلق لساني لتكذيبهم لي .

الوجه الثاني : يقرأ الفعل منصوباً ﴿ قال رب إني أخاف أن يكذبون ويضيق
صدري ولا يتعلق لساني ﴾ وذلك عطفاً على (أن يكذبون) المنصوبة
للتأنيص بين المنسوق عليه والمنسوق^(١) .

وفي ضوء القراءة الثانية يكون المعنى : إني أخاف أن يكذبوني ، وأخاف
أن يضيق صدري ، ولا يتعلق لساني .

١ - ٣ - اختلاف حركة الاسم مع الوقف :

واختلاف الحركة يشعل تنوع في القراءة يرجع لاختلاف الحركة
الإعرابية للاسم ، مع تنوع واختلاف الوقف من جانب والمعنى تبعاً لذلك من
جانب آخر .

١ - ٢ - أ - فمن تنوع حركة الاسم بين الرفع والجر قول الحق سبحانه
وتعالى : ﴿ قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين أتقوا عند ربهم جنات

(١) راجع إيضاح الوقف ٨١٢ ، ومعاني القراء ٢٧٨/٢ والتفسير القرطبي ٩٢/٣ والقطع ٢٨٨ .

على اعتبار أن : للذين : جار ومجرور شبه جعله خير مقدم

جنات : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

والمعنى في ضوء التخريج السابق : هل أنبئكم عن خير مما يشغلكم ،
للمتقين جنات تجرى من تحتها الأنهار .

واللمح الدلالي المميز لهذا الوجه : أن للمتقين جنات مخصصة لهم
وحدهم ، وهو مظهر تميز للمتقين .

ونقرأ كلمة (جنات) بالرفع لكن على اعتبار أن (جنات) خير لمبتدأ محذوف
تقديره ذلكم جنات ، أو هو جنات ، وذلك يماثل قوله تعالى : ﴿ بشر من ذلكم
النار ﴾ .^(١)

والمعنى في ضوء هذا التخريج : قل هل أنبئكم عما أهد للمتقين عند
ربهم وهو أفضل مما يشغلهم ، ذلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار .^(٢)

ويتميز هذا الوجه دلالياً : بأن هناك جنات لا مثيل لها (هي جنات) أعدت
للمتقين ، فالتركيز هنا على عظيمة الجينات التي أعدت لهم ، وبذلك يظهر الفرق
بينها وبين الشهوات التي تشغل الناس في الدنيا ، فالأفضلية هنا هي لازم
المعنى ، وليست المعنى المباشر في هذا التخريج .

وكما هو واضح فالحركة الإعرابية تتعاون مع الوقف في توجيه دلالة الآية

من وجه الآخر

(١) راجع التبيان ٢٤٥/٨ ، البيان ١١٤/٦ وتفسير الزاوي ١٧٢/٧ والبحر المحيط ٤٥/٢ ، والنسفي ١١٦/١ .

(٢) راجع التطيع ٢١٧ .

١ - ٢ - ب - ومن تنوع الاسم بين الرفع والنصب :

ب - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾ [الأعراف: ٣١] تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ﴾ هنا وقف ثم ابتدأ ﴿ ولباس التقوى ذلك خير ﴾ برفع كلمته (لباس) على الاستئناف . ويكون المعنى في ضوء هذا : يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً وريشاً يواري سوءاتكم ، وأما لباس التقوى فهو خير لمصاحبه عند الله مما خلق له من لباس الثياب والريش مما يتجمل به ، وأضيف اللباس إلى التقوى كما أضيف إلى الجوع في قوله : ﴿ ولباس الجوع ﴾ [النمل: ١١٦] .^(١)

الوجه الثاني : ﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ﴾ بلا وقف على (ريشاً) ولباساً بالنصب معطوفة على (ريشاً) ، و(ذلك) نعت أو بدل من (لباس) .^(٢) والمعنى على النصب واضح : أي أنزلنا عليكم لباساً وريشاً ولباس التقوى يواري سوءاتكم .

(١) انظر الكشف من وجوه القراءات ١/٤٦٠/٤٦١ ، ومعاني الفراء ١/٢٧٥/٢٧٦ ومعاني الأخفش ٢/٢٩٧ وإيضاح الوقت ٦٥٢ ، ومعاني الزجاج ٢/٣٢٨ ، والطح ٣٢١ ، والكافي ٢/٢٦٦ .
(٢) انظر البيان ١/٦٢٢هـ .

ب - ٢ ومن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴾ [مريم ٣٤] تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول :

(ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) بضم (قول) على اعتبار أنها إما نعت لـ (عيسى) أو بدل منه ، ويشترط على ذلك عدم جواز الفصل بين (عيسى) وتابعه (قول) ولا وقف هنا على (ابن مريم) .

والمعنى : ذلك عيسى بن مريم المتصف بكونه قول الحق الذي فيه يمترون . ويمكن توجيه قراءة الرفع . على اعتبار أن (قول) خبر لمبتدأ محذوف تقديره : (هذا الكلام) وفي ضوئه ذلك يجوز الوقف على (ابن مريم) والابتداء بـ (قول) .

والمعنى على هذا : ذلك عيسى بن مريم . هذا قول الحق الذي فيه يمترون .

الوجه الثاني :

(ذلك عيسى بن مريم) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (قول الحق الذي فيه يمترون) بضم (قول) . وحينئذ نصب (قول) فيكون ذلك إما :

١ - أنه منصوب على المصدر (أي مصدر مفعول مطلق للفعل محذوف) كأنه قال : أقول قولاً حقاً . والوقف يحسن على هذا الوجه .

والمعنى هنا : أقول قول الحق الذي فيه يمترون .

- ٢ - أن يعرب خبراً لـ (ذلك) مع إنزال ذلك منزله كان ، وهنا لا يحسن الوقف منعاً للفصل بين المبتدأ (ذلك) والخبر (قول)^(١) .
- والمعنى هنا : ذلك قول الحق الذي فيه يمتنون . وهذا يماثل التخريج الثاني من قراءة الوقف من حيث قواعد الوقف ، ويقاربه في المعنى أيضاً .
- ب - ٣ : ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ إنما بفيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ﴾ [يونس ٢٣] حيث تقرأ هذه الآية على وجهين :

الأول :

(إنما بفيكم على أنفسكم متاعُ الحياة الدنيا) يرفع كلمة (متاعُ) .

وهنا نلاحظ :

- ١ - لا وقف على كلمة (أنفسكم) .
- ٢ - اعتبار كلمة (بفيكم) مبتدأ + (متاع) خبره ، و (على أنفسكم) متعلق بالمصدر (بفي) .
- ٣ - والمعنى على هذا التخريج : البقي متاع الحياة الدنيا . قيل : لأن عقوبته يعجل لصاحبها في الدنيا ، كما قيل البقي مصرعة^(٢) .

(١) انظر إيشاح الوقف ٧٦٣ ، ومعاني الزوائد ١٦٧/٢ ، ١٦٨ ، والقطيع ١٤١ ، والمكتبي ٣٧٤ ، ومشكل مكى ٨٨/٢ ، ومعاني الزجاج ٣٢٩/٣ .

(٢) انظر القطيع ٢٧٤/٢٧٤ ، والتهذيبان ١٩١/١ ، وإعراب الشخصيات ٣١٥/١ ، ومشكل مكى ١٥٢/١٥١/١ ، والمكتبي ٣٠٥ ، ومعاني الزجاج ١٤/٣ .

وهناك تخريج آخر لقراءة الرقع على النحو التالي :

١ - يوقف على كلمة (أنفسكم) .

٢ - تتركب الآية من شقين :

- إنما بغيركم على أنفسكم : كالة ومكفوفة + مبتدأ + شبه جملة خبر .

- متاع الحياة الدنيا : خبر لمبتدأ محذوف تقديره (ذلك) + مضاف إليه + نعت .

والمعنى : في ضوء ذلك إنما بغيركم راجع ويأله عليكم ، أي بغير بعضكم على بعض عائد على أنفسكم ، وذلك هو متاع الدنيا ^(١) .

الوجه الثاني :

(إنما بغيركم على أنفسكم) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله (متاع الحياة الدنيا) ينصب (متاع) على أنها مفعول به للفعل محذوف تقديره تتمتعون متاع الحياة الدنيا .

والمعنى على هذا الوجه : إن بغيركم راجع ويأله عليكم ، تتمتعون به متاع الحياة الدنيا .

وهناك تخريج ثان لقراءة النصيب : (إنما بغيركم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا) ينصب (متاع) وعدم الوقف على (أنفسكم) ، واعتبار الآية مركبة من :

(١) انظر الكشف عن وجوه الفرائض ١/١٦٦ هـ . والتهان ٢/٦٢٠ .

إنما بغيركم : كافة ومكفوفة + مبتدأ + مضاف إليه .
 على أنفسكم : جار ومجرور شبه جملة خبر المبتدأ + مضاف إليه .
 متاع الحياة الدنيا : مفعول للمصدر (بغي) + مضاف إليه + نعت .
 والمعنى : إن بغيركم متاع الحياة الدنيا راجع وباله عليكم ^(١) أو : إن بغي بعضكم على بعض إنما هو من أجل متاع الحياة الدنيا .
 ب - ٤ : ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ لِيَسْتَلْزِمَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ، وَالتَّيْنِ لَمْ يَلْفُوا الْحَمَّ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَمَنْ قَبِلَ صَلَاةَ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ ، وَمَنْ بَعْدَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ﴾ (النور : ٤) يجوز في قراءة (ثلاث عورات لكم) وجهان من القراءة :

الأول :

(ثلاث عورات لكم) برفع (ثلاث) وهنا يوقف على ما قبلها (صلاة العشاء) ، وتتركب الآية بعد الوقف من :
 ثلاث : خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هي) أو (ثلاث : مبتدأ + (لكم) خبر .
 عورات : مضاف إليه + (لكم) نعت لـ (ثلاث) .

والمعنى : تلك ثلاث مرات هي عورة لكم ، أو ثلاث مرات مخصصة لكم عورة .

(١) انظر المحلى : ٣٠٥ ، ومعاني الغراء ٤٦١/١ ، وإيضاح الوقف ٧٠٥ والقرطبي ٢٢٦/٨ ، والطبري ٥١/١٥ ، والتبيان ٦٧٠/٢ ومعاني الزجاج ١٤/٢ ، والكشاف ١١٦/١ .

الثنائي :

(...) والذين لم يملأوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر
وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات
لكم) دون وقف على (العشاء) و (ثلاث) هنا بالنصب على اعتبار أنها
بدل من (ثلاث مرات) وقيل إنها منصوبة بفعل محذوف تقديره : أعنى .
والمعنى : ليستأننكم أوقات ثلاث عورات ^(١) الذين لم يملأوا الحلم .

ب - هـ : ومن ذلك أخيراً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ والذين يتولون
منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول ﴾ (البقرة ٢٤٠) .
نقرأ الآية السابقة على وجهين :

الوجه الأول :

(والذين يتولون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم ..) يرفع (وصية) .
والوقف هنا على (لأزواجهم) وتركب الآية في ضوء ذلك من :
الذين يتولون منكم : مبتدأ + جملة صلة الموصول (فعل + فاعل) +
جار ومجرور متعلق بالفعل .
ويذرون أزواجاً : وار (للحال) + جملة فعلية (فعل + فاعل + مفعول)
حال من (الذين) .

وصية لأزواجهم : مبتدأ ثان + جار ومجرور شبه جملة خبر للمبتدأ الثاني
والجملة خبر (الذين) ولا يتم الوقف إلا على (لأزواجهم) كيلا تفصل المبتدأ
عن الخبر .

(١) انظر إيشاج الوقف ٨٠٦/٨٠٦ ، والقطع ١٦٦/١٦٦ ، والمكتنى ٤١٢ ، ومشكل مكى ١٤٢/٢ .
ومعنى القرء ٣٦٠/٢ والنظر التبيان ٩٧٧/٢ .

والمعنى : الذين يتوفون منكم تاركين أزواجاً وصية لأزواجهم . وهناك تخريج ثان لوجه الرفع (وصية) تكون فيه القراءة : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً) هنا وقف ثم يبتدأ (وصية لأزواجهم) . وتركب الآية من الذين يتوفون منكم : مبتدأ + جملة فعلية صلة + شبه جملة متعلقة بالفعل والغير معلوف تقديره فيما وصفنا الذين يتوفون . أو فيما ذكرنا الذين يتوفون .

ويذرون أزواجاً : (وار) الحال + جملة في محل نصب حال . (فعل + فاعل + مفعول) .

وصية : مبتدأ + لأزواجهم (شبه جملة) خبر المبتدأ .

والمعنى : فيما ذكرنا الذين يتوفون منكم تاركين أزواجاً فعليهم وصية لأزواجهم .

الوجه الثاني :

من القراءة : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم) بنصب (وصية) والوقف على (لأزواجهم) . وتكون وصية مفعولاً لفعل محذوف والتقدير : عليكم وصية بذلك أو أوصوا لهم وصية .

والمعنى على قراءة النصب : والذين يتوفون منكم تاركين أزواجاً فليوصوا وصية لأزواجهم^(١) .

(١) راجع إيفتاح الوقف ٥٢٢ ، ومعاني المرأة ١٥٦/١ ، والقرطبي ١١٩/٢ ، ومعاني الأنطاش ١٨٧/١ ، ومعاني الزجاج ٣٢١/١ ، والكشاف ٢٩٩/١ ، والعجوة الفخارسي ٢٥٧/٢ ، والبيان ١١٢/١ ، وإعراب النحاس ٢٧٤/١ ، ومشكل مكى ١٢٢/١ ، والبيان ١١٢/١ .

١ - ٢ - ج - وصفا اجتمع فيه ثلاث الحركات مع الوقف :

ج - ١ : قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فالحقُّ والحقُّ أقول ﴾ [ص ١٨]
قرئت هذه الآية بثلاث صور :

الأولى : نصبهما (فالحقُّ والحقُّ أقول) .

الثانية : رفع الأولى ونصب الثانية (فالحقُّ^١ والحقُّ^٢ أقول) .

والثالثة : بجر الأولى ونصب الثانية : (فالحقُّ^٣ والحقُّ^٤ أقول) .

ويترتب على كل ضبط منها مع مراعاة الوقف وعدمه الأحكام الخمسة التالية :

- موضعان فيهما وقف على النحو التالي :

ج - ١ - ١ : (فالحقُّ^١) ثم تقف وتبتدئ (والحقُّ^٢ أقول) ينصبهما .
ويتركب الآية مما يلي :

فالحقُّ^١ : مفعول لفعل محذوف تقديره : قولوا أو استمعوا . ثم وقف .

والحقُّ^٢ أقول : مفعول مقيم + فعله متأخر (أقول) .

والمعنى : قولوا الحق ولا أقول إلا الحق .

ج - ١ - ٢ : (فالحقُّ^١) ثم تقف وتبتدئ : (والحقُّ^٢ أقول) يرفع الأولى
ونصب الثانية . ويتركب الآية من :

فالحقُّ^١ : خبر مبتدأ محذوف والتقدير : هو الحق أو أنا الحق .

والحقُّ^٢ أقول : مفعول مقدم + عامله مؤخر .

والمعنى : أنا الحق ولا أقول إلا الحق

ثلاثة مواضع لا وقف فيها على النحو التالي :

ج - ١ - ٢ (فالحقُّ والحقُّ أقول) بنصبهما : ولاوقف .

فالحقُّ : مفعول منصوب بـ لاملأن (بعده) بمعنى حقاً لاملأن ، واقترون باللام والانتق واللام وطرحهما سواء ، وهو بمنزلة قولك : حمداً لله والحمد لله^(١) .

والحقُّ أقول : مفعول مقدم + عامله .

والمعنى : حقاً لاملأن والحقُّ أقول^(٢) .

ج - ١ - ٤ - (فالحقُّ والحقُّ أقول) يرفع الأولى وتنصب الثانية : وتتركب الآية مما يلي :

فالحقُّ : مبتدأ وخبره بعد ذلك (لاملأن) . مثل عزمة صداقة لاملأن .

والحقُّ أقول : مفعول مقدم + عامله مؤخر .

والمعنى : فالحقُّ لاملأن والحقُّ أقول .

ج - ١ - ٥ : (فالحقُّ والحقُّ أقول) يجر الأولى وتنصب الثانية : يلا وقف كذلك .

فالحقُّ : الفاء قامت مقام واو القسم ، أو هناك واو قسم مضمرة

(١) معاني الغراء : ١١٢/٢ .

(٢) انظر إرشاد الوقف : ٨٦٥ ، والقطع : ٦١٦ ، ومعاني الزجاج : ٢٤١/٤ ، والمكتفى : ١٨٥ ، وبشكل مكى : ٢٢١/٢ ، والقيان : ٦١٠٧/٢ .

(والعرب تلقى الواو من القسم ويخفصونه ، سمعناهم يقولون : الله لتعلمين . فيقول المجيب : الله لأعلمن ، لأن المعنى مستعمل والمستعمل يجوز فيه الحذف كما يقول القائل للرجل : كيف أصبحت ؟ فيقول : خير يريد بخير ، قلما كثرت في الكلام حذف)^(١) والحق مقسم به مجرور لفظاً مرفوع محلاً ، لأعلمن جواب القسم .

والحق أقول : مفعول مقدم + عامله مؤخر .

والمعنى : أقسم بالحق لأعلمن ، والحق أقول .

ج - ٢ ومن اجتماع ثلاث الحركات مع الوقف كذلك واختلاف المعنى بتأثير القرينتين معاً : قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فيشرئاء بأسحق ومن وراء اسحق يعقوب ﴾ [مريم ٧١] . تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول :

(ويعقوب) بالرفع ويكون تركيب الآية :

ومن وراء : استئنافية + جار ومجرور خبر مقدم .

اسحق : مضاف له وراء .

يعقوب : مبتدأ مؤخر . وفي ضوء ذلك تكون القراءة : (فيشرئاء

باسحق) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : (ومن وراء اسحق يعقوب) .

والمعنى في ضوء ذلك : فيشرئاء باسحق . ويعقوب من وراء اسحق مفعول له .

(١) انظر معاني القرآن ٤١٢/٢ / ٤١٢ .

الوجه الثاني ،

(يعقوب) بالنصب ، ويوجهها العلماء في حالة النصب على الأنحاء التالية :

(أ) : (فبشرناه بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) وتنصب (يعقوب) على أنها مفعول لـ (فبشرناه) ولا وقف هنا لثلا تفصل بين الفعل والمفعول ، ويكون المعنى في ضوء ذلك : فبشرناه بإسحق ، وبشرناه بـيعقوب من وراء إسحق . وهو ضعيف لأن المبشر به واحد فقط هو إسحق .

(ب) : (فبشرناه بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب) بلا وقف على اعتبار أن (يعقوب) منصوب مطلقاً على محل (بإسحق) ومطله النصب .
وبذلك كقول الشاعر :

معاوي إننا بشر فإسحق فلستنا بالجيل ولا الحديد

فتنصب الحديد بالعطف على موضع الجيل وهو النصب^(١) ، وكيل
تفصل بين المعطوف عليه (بإسحق) والمعطوف (يعقوب) امتنع الوقف والمعنى في ضوء ذلك : فبشرناه بإسحق وبـيعقوب من وراءه ، وهو ضعيف كسابقة لنفس السبب وهو أن المبشر به واحد والعطف يقتضي المشاركة في البشري . وهي مقصورة على إسحق نون يعقوب .

(ج) : (فبشرناه بإسحق) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (ومن وراء إسحق يعقوب) . بنصب (يعقوب) بفعل محذوف تقديره : وهبتا .

(١) انظر البيان ٢١/٢ ، ومشكل مكى ٣٤/١ ، ٥٢٥ ، ومعاني القرآن ٢٢٢/٢ .

ويكون المعنى في ضوء ذلك : فيشرئاء باسحق ، ووهبنا له يعقوب من ورائه .

د () فيشرئاء باسحق ، ومن وراء أسحق يعقوب (يجعل يعقوب مجزوراً بالفتحة نيابة عن الكسرة لأنه معنوع من الصرف معطوف على المجزور قبله) باسحق) والمعنى : فيشرئاء باسحق ومن ورائه ويعقوب وثمة اعتراضان على هذا التفريع :

الاعتراض الأول : أنه ضعيف تركيبياً عند أهل العربية للفصل بين الجار في (باسحق) والمجزور (يعقوب) ، فلا يجوز مروت يزيد وفي الدار عمرو وبناء على ذلك ، لا يجوز الخفض في (يعقوب) إلا بإظهار الباء ^(١) .
الاعتراض الثاني : وقد سبق ذكره وهو أن الميشر به واحد فلا يستقيم المعنى بقولنا : ويشرئاء بيعقوب ^(٢) .

١ - ٢ - د : ومما تنوعت فيه حركات الإعراب والبناء مع الوقف .

في قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَاحِقٌ لَّا فُسُوقٌ وَلَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة ١٩٧] .

في هذه الآية الكريمة تجد ثلاث قراءات مختلفة ووجه الاختلاف يتمثل في اختلاف الضبط الإعرابي لبعض الكلمات من جانب ، مع اختلاف حكم الوقف

(١) معاني القراء ٢/٢١ .

(٢) انظر السابق نفس الصفحة ومعاني الزجاج ٦٢/٢ ، والمكتفى ٣١٨ ، وإيضاح الوقف ٧١٥ ، والقطع ٢٩٢/٢٩٢ ، مشكل مكى ٢٧٠/٣٦٩/١ .

من وجه آخر ، وترتب على الأمرين اختلاف دلالة الآية تبعاً لذلك ، أما الوجه الثالث فهي :

الوجه الأول :

(فلا رفق ولا فسوق ولا جدال في الحج) هنا الوقف ، وتتركب الآية وفقاً لهذا الضبط وذلك الوقف من :

لا رفق : نافيه للجنس + اسمها (مبني على الفتح في محل نصب) .

ولا فسوق : عاطف + لا مع اسمها (مبني على الفتح في محل نصب كذلك) .

ولا جدال : عاطف + لا مع اسمها (مبني على الفتح في محل نصب كذلك) .

في الحج : جار ومجرور خبر لا الأولى^(١) ، والمكررة للتوكيد .

والمعنى في ضبوه التخريج السابق : لا يجوز أي رفق ولا أي فسوق ولا أي جدال أثناء الحج ، ويكون النفي شاملاً كل نوع من ثلاثة الأنواع السابقة فهو نفس جنس^(٢) .

(١) • ويجوز أن تكون لا المكررة مستقلة ، فيكون في الحج خبر (لا جدال) وخبر (لا) الأولى والثانية محذوف ، أي لا رفق في الحج ، ولا فسوق في الحج ، واستثنى عن ذلك خبر الأخيرة « التبيان ١٦١/١ » .

(٢) راجع في ذلك : إيشاح الوقف ١٠٥ ، والكشف ٢٨٦/٢٨٥/١ ، والمجدة ٢١٥/٢ والمكتلى ١٨٢ ، والقرطبي ٢٧٢/٢٧٠/١ ، واللمع ١٧٦/١٧٨ ، والرازي ١٧٩/٥ وإعراب النحاس ٢٤٦/٢٤٥/١ ، ومشكل مكى ١٢٢/١ ، والبيان ١٤٧/١ ، والتبيان ١٦١/١ .

الوجه الثاني :

(فلا رفق ولا فسوق ولا جدال في الحج) هنا وقف ، وفي ضوء هذه القراءة تتركب الآية من :

فلا رفق : لا : نافية تعمل عمل ليس + اسمها مرفوع .

ولا فسوق : عاطف + لنافية + اسمها مرفوع كذلك فهو كالأول

ولا جدال : عاطف + لنافية + اسمها مرفوع كذلك فهو كالأول والثاني .

في الحج : جار ومجرور خبر (لا) الأولى ، والمكررة للتوكيد^(١) .

والمعنى بناء على هذه القراءة : لا يجوز الرفق ولا الفسوق ولا الجدال

إثناء الحج نون أن يشمل ذلك كل أنواع الرفق أو الفسوق أو الجدال .

القراءة الثالثة : (فلا رفق ولا فسوق) هنا وقف ثم يبدأ بقوله تعالى :

﴿ ولا جدال في الحج ﴾ . ويكون تركيب الآية في ضوء هذه القراءة .

فلا رفق : لا نافية تعمل عمل ليس + اسمها مرفوع .

ولا فسوق : عاطف + لا نافية تعمل عمل ليس + اسمها مرفوع .

وخبر (لا) الأولى والثانية محذوف مفهوم مما يلي يعد وتقديره : في

الحج .

ولا جدال : عاطف + لا نافية للجنس + اسمها مبني على الفتح في محل

نصب .

(١) لاحظ الوجه الموجود في الهامش (١) السابق من ١٢٤ .

في الحج : شبه جملة خبر (لا) الثالثة .

والمعنى في ضوء الوجه الثالث : لا يجوز الرفث ولا الفسوق في الحج ،
بأن أن يشمل ذلك كل أنواع الرفث وكل أنواع الفسوق . ويلاحظ أن الرفث :
الجماع ، والفسوق : العصيان ، ولما كان نفى كل أنواعهما شاق ، جاء النفي
غير شامل لكل أنواعها تخفيفاً ويسراً ، ولا جدال : ولا يجوز أى نوع من
أنواع الجدال ، ويلاحظ أن الجدال : ممرارة تؤدي إلى الغضب والإيذاء
والإحاش المفضى إلى العداوة والبغضاء ، الأمر الذي يقتضى أن يخصه الله
- في ضوء هذا التوجيه - بمزيد الزجر والمبالغة في النفي ^(١) .

وأياً ما كانت الصفة في تأكيد قراءة الجمهور بالنصب ، أو قراءة
الجميع بالرفع ، أو قراءة رفع الرفث والفسوق ونصب الجدال وحدة ، فإن
الذي يعيننا هنا أن هناك اختلافاً في العلامة الإعرابية بين حركات الإعراب
من جانب أحكام الوقف مع كل وجه منها وجوداً وعدمياً من جانب ثابته أفضى
إلى اختلاف المعنى أو دلالة التركيب من وجه آخر بتأثير قرينتين : العلامة
الإعرابية والوقف معاً .

٢ - اجتماع الوقف مع قرينة الصيغة :

تعد قرينة الصيغة إحدى القرائن اللفظية التي تلعب دوراً أساسياً في
التأثير على المعنى فالفرق واضح بين أن يقال : قاتلوهم وأن يقال اقتتلوهم .
الأولى تقتضى المشاركة ، والثانية لا تعنى ذلك ، وفي النص القرآني قد

(١) راجع الكشف ٢٨٦/٢٨٨ ، والمجدة ٢١٥/٢ ، والرازي ١٧٩/٥ ، والقرطبي ١/٢٧٠/٢٧٢ .

نجد الفرق بين قراءة وأخرى لآية يعينها متمثل في استخدام صيغة معينة في وجه وصيغة أخرى في وجه آخر ، كأن تقرأ صيغة مبنية للمعلوم في قراءة : وتقرأ نفس الصيغة مبنية للمجهول في قراءة أخرى ، وقد نجد صيغة تكلم في قراءة قد تحولت إلى غيبة أو خطاب في أخرى ، وقد نجد صيغة فعل في قراءة قد تحولت إلى صيغة مصدر ، أو صيغة اسم تحولت إلى صيغة حرف ، أو صيغة أمر قد تحولت إلى ماض ، وهذا يؤثر دون شك على المعنى ، وقد نجد الوقف يتدخل كقرينة أخرى تؤثر مع قرينة الصيغة في توجيه المعنى وجهة معينة بحسب وجه القراءة ، وهذا ما تعرض له الآن .

٣ - الوقف مع صيغتي البناء للمعلوم والمجهول :

من ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧] هنا وقف ثم يبتدأ بقول : ﴿ لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٨] . وتلاحظ هنا أن (ظَلَمَ) بصيغة المبنى للمعلوم أو المجهول .

وهذا شكل من الاستثناء المتقطع كأنه أراد أن يقول : لا يحب الله أن يجهر أحد بالسوء من القول ، واستثنى المظلوم فأنه لا من ظلم . فإن له أن يجهر شاكياً .

والمعنى في ضوء ذلك : إن الله لا يحب أن يجهر أحد بالسوء من القول لكن للمظلوم أن يجهر شاكياً^(١) .

(١) قيل إذا كان هذا الوجه بصيغة البناء للمعلوم (ظلم) وبهذا الحكم من الوقف أي على (شاكراً) عليمًا) فإن المعنى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن الظالم أجبروا له بالسوء من القول . أو لكن الظالم فإنه مفسوح لمن ظلم أن يتكلم به . انظر معاني الزجاج ١٢٥/٢ وكذلك التبيين ١-٢/٦ .

يلاحظ في الوجه السابق : أن الوقف على شاكرًا عليماً ، وإن صيغة الفعل هو البناء للمجهول ، وفي ضوء ذلك تحدد معنى الآية .

أما الوجه الثاني لقراءة الآية السابقة فهو : (ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ، وكان الله شاكرًا عليماً ، لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً) هذا الوقف ، ولا يكفي الوقف على (وكان الله شاكرًا عليماً) إذا وضعنا في اعتبارنا أمرين :

الأول : أن (ظلم) بصيغة البناء للمعلوم أو الفاعل .

الثاني : أن في الكلام تقديمًا وتأخيرًا إذ الأصل : ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إلا من ظلم ، وكان الله شاكرًا عليماً .

في ضوء ما سبق فإن الوقف على (شاكرًا عليماً) لا يتم إذ الكلام متعلق بـ (من ظلم) وهو متأخر .

ويكون المعنى في ضوء ذلك : ما يفعل الله بتعذيبكم إن أصلحتم وآمنتم وشكرتم لكنه يقيم العدل بعذاب الظالم أما من أصلح فإن الله شاكر عليم ، ولا يحب الله الجهر بالسوء من القول وكان الله سميعاً عليماً^(١) .

٢ - الوقف مع صيغتي التكلم والغيبة :

قد تقرأ آية من الآيات وفيها فعل في صيغة التكلم (أفعل أو نفعل) وفي

(١) راجع إرشاح في الوقف، ٦٠٧ ومعاني الزجاج ١٢٥/٢ ومعاني القراء، ٢٩٣/١ والمكتبي ٢٢٨/٢٢٠ ومشكل مكى ٢٦١/١ والبيان ٢٧٢/٢٧١/١ ومعاني الألفيش ٢٤٨/١ وإعراب النحاس ٤٦٥/١ والقطع ٢٧٢ والتهيان ١٠٢/١ .

قراءة أخرى بصيغة الغيبة يفعل أو يفعلون أو يفعلن ، وبمشاركة قرينة الوقف مع كل وجه يتغير المعنى ، وهذا كثير جداً .

فمن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ﴾ [البقرة ٢٨٥] هنا وقف ثم يبدأ بقوله ﴿ لا نفرق بين أحد من رسله ﴾ على اعتبار أن آمن غيبة ونفرق تكلم وهما منفصلان فيحسن الوقف على (ورسله) .

ويكون المعنى : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون آمنوا به ، وقد آمنوا جميعاً بالله وملائكته وكتبه ورسله ، يقولون : لا نفرق بين أحد من رسله .

وتقرأ هذه الآية على وجه آخر : (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين أحد من رسله) . هنا وقف وهنا تلاحظ أن يفرق بصيغة الغيبة مثل آمن بصيغة الغيبة كذلك فالكلام متصل ببعضه فلا يوقف على (ورسله) .

ويكون المعنى في ضوء ذلك : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله غير مفرق بين أحد منهم فكلهم سواء^(١) .

- ومن ذلك أيضاً : قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ (يونس ٥) هنا وقف . وتلاحظ أن الفعل (يفصل) بصيغة الغيبة وهو كاللعل (خلق) قبله ، فالكلام كله متصل وهو بصيغة الغيبة ، وفاعل (يفصل) عائد على (الله) قبله ، فلا يفصل منه .

(١) راجع إيساح الوقف ٥٥٩/١ ، والكشاف ١٠٧/١ ، والتبيان ٢٣١/١ ، والمكتنى ١٩٣ ، والنقح ٢٠٨ ، والطبري ١٢٦/١ ، ١٢٧/١ ، والفريسي ٤٢٦/٣ .

والمعنى فى ضوء ذلك : ما خلق الله الشمس شيئاً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلم عدد السنين ما خلق ذلك إلا بالحق ، وهو يفصل ذلك كآيات لقوم يعلمون .

وتقرأ هذه الآية على النحو التالى : (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : تفصل الآيات لقوم يعلمون (حيث جاء الفعل (تفصل) بصيغة التكلم مخالفاً لما قبله الذى هو بصيغة الغيبة ، لحسن الوقف للتبعية إلى هذا الالتفات من الغيبة فى (خلق) إلى التكلم فى (تفصل) ، والمعنى هنا : ما خلق الله ذلك إلا بالحق ، ونحن تفصل الآيات لقوم يعلمون (١) .

٢ - ٣ ومن اجتماع الوقف مع صيغتي الغيبة والتخطاب

قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى للناس تجعلونه قراءاتيس تبدونها وتخطون كثيراً ﴾ [البقرة ٩١] هنا وقف ونلاحظ أن (قل ، تجعلونه ، تبدونها ، تخطون) كلها بصيغة التخطاب ، فلا يفصل بعضها من بعض .

والمعنى : قل يا محمد من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نوراً وهدى

(١) انظر إيساح الوقف ٧٠٤ ، والقطع ٢٧٣ ، والمكتفى ٣٠٤/٣٠٢ والكشف لكى ١٢/١/١٤٤ - ومن أمثلة ذلك كذلك .

١ - (الرحمن ٣١) (يستفرغ لكم أيها الثقلان) أو (ميفرغ لكم أيها الثقلان) ، راجع فى ذلك معانى الفراء ١٦/٣ ، القرطبي ١٦٩/١٦٨/١٧ ، والنسفي ٢١١/٤ والقطع ٦٩٨ ، والكشف لكى ١/٦ - ٢/٣ - ٣٠٢/٣ والمكتفى ١٨٨ .

٢ - (الزمرد) (لنفعل بعثها على بعض فى الأكل) أو (نفعل بعثها على بعض فى الأكل) ، راجع فى ذلك ، القطع ٤٠٧ ، وإيساح الوقف ٧٣٢ ، والقرطبي ٢٨٢/١ ، ومعانى الفراء ٢٤٧/١ ، ٢٨/٢ ، والكشف ١٩/٢ ومعانى الزجاج ١٢٨/٣ .

للناس ، جاعلين إياه في قراطيس يبدونها وتخفون كثيراً غيرها .

والوجه الثاني : أن تقرأ هذه الآية : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله (يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً) .

ونلاحظ أن قل (خطاب) على حين أن ثلاثة الأفعال (يجعلونه ، يبدونها ، يخفون) كلها غيبة . قيل إن الخطاب : قل يا محمد لمشركي العرب ، . أما الغيبة فعائد على اليهود ، فحسن الفصل .

ويكون المعنى في ضوء ذلك : قل يا محمد لمشركي العرب من أنزل الكتاب الذي أنزل على موسى نوراً وهدى للناس ، ثم انتقلت للحديث عن اليهود قائلاً لقد كانوا يجعلونه في قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً منها ، ثم عاد وانتقلت بعد ذلك مخاطباً المسلمين (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم)^(١) .

ومن ذلك أيضاً : قول الحق سبحانه وتعالى ﴿ والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ﴾ [النحل ١٦] هنا وقف ثم يبتدأ بقوله ﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ﴾ [التهم ٢٠] .

ونلاحظ أن الفعلين : تسرون - تعلنون - خطاب للمؤمنين .

أما الفعلان يدعون - يخلقون - لغيبة حكاية عن المشركين ، فحسن كذلك الفصل بينهما والوقف على (تعلنون) .

(١) انظر القطع ٣١٢ ، ومعاني الزجاج ٣٧١/٢ ، وإيضاح الوقف ٦٤٠ والطبري ٥٢٤/١ ، والقرطبي ٢٨/٣٧٧ ، وإعراب النحاس ٥٦٥/١ والبيان ٣٣١/١ ، والمكتبي ٢٥٥ ، والكشاف ٤٤٠/١ والمشكل ٢٦٠ .

ويكون المعنى : إن الله يعلم أيها المؤمنون ما تسرون وما تعلنونه ، أما المشركون الذين يدعون من دون الله آلهة فهم لا يخلقون شيئاً بل هي نفسها مخلوقة .

أما الوجه الثاني لقراءة هذه الآية : (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ، والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون) .

وهنا نلاحظ أن : تسرون ، تعلنون ، تدعون ، كله خطاب مقصود به الكفار ، والكلام في شوء ذلك كله متصل ، فلا يفصل بعضه من بعض ويكون المعنى ، والله يعلم أيها الكفار ما تسرون وما تعلنون وما تدعون من دون الله من آلهة لا تخلق شيئاً بل هي نفسها مخلوقة^(١) .

٢ - ١ - ومن اجتماع الوقف مع صيغتي الماضي والمضارع .

قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ الشيطان سول لهم وأملى لهم ﴾ [سجدة ٢٠] نقرأ هذه الآية على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : (الشيطان سول لهم وأملى لهم) يلا وقف على (سول لهم) ويلاحظ :

أ) أن الفعل (أملى) بصيغة الماضي وفاعله ضمير مستتر عائد على الشيطان .

ب) أن الكلام متصل ، فالواو عاطفة ، وأملى معطوف على سول .

(١) راجع الكشف ٢/٢٤ ، والمكتبي ٣٣٩ . ومعاني الفراء ٩٨/٢ ، وإيضاح الوقف ، ٧٤٧ ، ومعاني الزجاج ٣/٩٢ ، والقطع ٤٢٦ . ومن أمثلة ذلك أيضاً (ثم إليه ترجعون) (البرم ١١) أو (ثم إليه ترجعون) راجع أيضاً الوقف ٨١٢ ، والقطع ٤٥٩ ، والمكتبي ٤٤٧ والكشف ٢/١٨٢ والقرطبي ١٤ / ١٠ .

جـ) أن المعنى في ضوء ذلك ، إن الشيطان سوك وأملى لهم .

الوجه الثاني : (الشيطان سوك لهم) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله تعالى ﴿ وأملى لهم ﴾ ، ونلاحظ هنا .

أ) أن الفعل (أملى) بصيغة المضارعة للمتكلم - الهمزة مضمومة والميم ساكنة (وفاعلة ضمير مستتر تقديره (أنا) عائد على (الحق) سبحانه وتعالى .

ب) أن الكلام منفصل ، فعن سوى غير من أملى ، فيحسن قطع ما هو من فعل الشيطان هنا هو من فعل الله جل ثناؤه .

جـ) أن المعنى في ضوء ذلك ، الشيطان سوك لهم وزين ، وأنا الحق أمهلهم .

أما الوجه الثالث : (الشيطان سوك لهم) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله ﴿ وأملى لهم ﴾ يجعل الفعل ماضياً مبنياً للمجهول ، وفيه مزيد تهديد ووعيد وهنا نلاحظ ما يلي :

أ) أن من سوك هو الشيطان على حين أن من أمهل هو الحق أيضاً ولكن في صيغة المبني للمجهول .

ب) أن الفعل (أملى) يضم الهمزة وتسكن الميم وكسر اللام وفتح اليا . هو ماضٍ مبني للمجهول ، وفيه إطلاق للعنان لكي يتصور قدرة المولى ، وما يترتب على ارتدادهم وتسويل الشيطان لهم من سوء مصير .

جـ) أن المعنى في ضوء ذلك ، إن الشيطان سوك لهم ، وقد أمهلوا .

وما أدراك ما عاقبة الإمهال^(١) .

٢ - هـ ومن الوقف مع تنوع الصيغة بين كونها ماضياً أو أمراً .

قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ وَهَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾ [٢٦:٣] .

تقرأ الآية السابقة على وجهين :

الأول : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ) . يجعل الفعل (نَقَّبُوا) بصيغة الماضي مفتوح القاف وفي ضوء ذلك لا وقف على بَطْشًا) . لأن الواو في الفعل تعود على ما قبلها (قَرْنٍ)^(٢) ، فلا يوصل بينهما . ونلاحظ هنا .

أ (أَنْ الْغَاءُ فِي (فَنَقَّبُوا) عاطفة ، أي بَطَشُوا فَخَرَقُوا وَاهْتَسُوا فِي الْبِلَادِ .

ب (أَنْ الْكَلَامَ متصل ، فلا يفصل بين المتعاطفين .

جـ (أَنْ الْمَعْنَى : لَقَدْ أَهْلَكْنَا كَثِيرِينَ قَبْلَهُمْ كَانُوا أَشَدُّ بَطْشًا وَعَاشُوا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فَهَلْ كَانَ لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ؟

الوجه الثاني : (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : (فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ) وهنا نلاحظ :

أ (أَنْ الْفِعْلَ (فَنَقَّبُوا) جاء بصيغة الأمر (مكسور القاف) والغاء استثنائية .

(١) راجع إيفساح الوقف ٨٩٨ . والقروطبي ٢٤٩/١٦ . والمكتفي ٢٤٥ والطبع ٧٦٧ . والكشف ٢٧٨/٢٧٧/٢ .

(٢) كلمات القرآن ص ٢٢٥ . قرن : أي : أمة .

ب) أن الكلام اللاحق مستقل عن السابق فحسن الوقف لأن الواو في (فنقيروا) لا تعود على ما يعود عليه (هم) . فهم يعود على الهالكين السابقين ، أما الواو فتخصص المخاطبين .

ج) أن المعنى هو : ما أكثر الهالكين من الأمم الذين كانوا أشد منكم بطشاً فخرقوا وأنفسوا في البلاد ، فهل ثمة ملء من نفس الصبور^(١) .

٢ - ٦ ومن تتوخ الوقف مع كون الصيغة اسماً أو حرفاً

فمن ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ﴾ [الرعد ٢٢] هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ بكسر الميم ولاحظ على هذه القراءة ما يلي :

أ) أنها تتركب من :

ومن : استئنافية + حرف جر .

عنده : مجرور بمن + مضاف إليه (والجار والمجرور خبر مقدم) .

علم الكتاب : مبتدأ مقدر + مضاف إليه .

ب) أنها جملة منفصلة عما قبلها ، وعليه فالوقف على (وبينكم) .

ج) والمعنى في ضوء ذلك : قل يكفي الله وحده شهيداً بيني وبينكم ، فعلم الكتاب مستقر عنده .

الوجه الثاني : (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

(١) راجع في ذلك إيهاب الزلف ١٠١ ، والقطع ٦٧٨ . ومعاني القراء ٢٧٩/٢ - ٢٨٠ ، والقرطبي ١٧/ ٢٢ والبيان ١١٧٧/٢ والمنازل ٣٦٩ .

بفتح الميم ويلاحظ على هذا الوجه :

أ (مَنْ مفتوحة الميم اسم موصول ، وهو مبني على السكون في محل رفع عطفاً على محل (بالله) وهو الرفع على الفاعلية ، عنده (ظرف شبه جملة خبر مقدم + علم الكتاب مبتدأ مؤخر + مضاف إليه ، والجملة صلة مَنْ لا محل لها من الإعراب .

أو - مَنْ : اسم موصول مبني على السكون في محل جر عطفاً على لفظ (بالله) وهو مجرور للفظاً + عنده علم الكتاب : خبر مقدم + مبتدأ مؤخر والجملة صلة (مَنْ)^(١) .

ب (في الحالين : بإسـم الموصـول (مَنْ) معطوف على (بالله) ولا يفصل بين المعطوف عليه والمعطوف ، إذا الفصل يجعل الكلام غير تام .

ج (والمعنى في ضوء ذلك : قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم وكفى بمن عنده علم الكتاب^(٢) .

٣ - قرينة الوقف مع قرينة الالفاظ .

مصطلح الالفاظ كما هو معروف مصطلح كوفي يقابل ما يعرف عند

(١) شبه تخريجات أخرى ترى أن : عنده : شبه جملة صلة من . وعلم مرفوعة بالظرف ، لأن الظرف إذا جاء صلة رفع كالفعل ، وقد تعرب عند : عنده لـ مَنْ يوصفها نكرة ، وعلم مرفوعة بالظرف أيضاً ، لأن الظرف يرفع فاعلاً كالفعل إذا جاء . صفة على ملحق سببوية والأخفش فعلى هذا : عند : إما صلة من أو صفة من : وعلم : فاعل نحو سواه . الكائنات صلة أم كانت صفة ، انظر التبيان ٢/٢٢٠ .
(٢) راجع في ذلك الشيبان ٢/٧٩٠/٧٩١ . القطع ١١٣ . والمكتفى ٢٢٨ . ومجالي الغراء ٦٢/٢ ، والقرطبي ٩/٢٢٦ ، وإيضاح الوقت ٧٢٨ . وفي لمن إيضاح الوقت اضطراب واضح في هذا المقال .

البصريين به الحرف بوصف الأخير قسيما للاسم والفعل ، ومصطلح الأداة في هذا السياق لا يطابق مفهومه عند الكوفيين ، بل إن الأداة مصطلح يستخدم في دلالة أوسع بكثير مما عناء الكوفيين ، إنني أقصد هنا بالأداة : كل عنصر نحوي Syntactic element لا يصلح أن يقع في أحد موقعين : المسند إليه أو المسند ، فكل عنصر نحوي لا يصلح لأن يشغل وظيفة مبتدأ أو فاعل أو نائب فاعل من جانب ، ولا يصلح أن يشغل وظيفة فعل أو ما يسد مسد الفعل أو خير من جانب ثان هو عندي داخل في مفهوم الأداة ، ولعلني أفرغ إن شاء الله تعالى من بحث مستقل يعالج هذه القضية .

ويحسبني هنا أن أقدم أمثلة لتتوزع دور الأداة مفردة ومركبة وأثر ذلك حين يحدث مع ظاهرة الوقف في توجيه المعنى .

وتلك طائفة من الأمثلة لبيان هذا الدور المزيج للوقف والأداة .

٢ - ١ - ففي قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قل إن الهدى هدى الله أن يوتي أحد مثل ما أوتيتم ﴾ [الحران ٧٣] .

تقرأ الأداة (أن) في هذه الآية على عدة أوجه ، ويتغير حكم الوقف بوصفه رمزاً يشير بدوره إلى تغير المعنى ، وذلك على النحو التالي :

الوجه الأول : (قل : إن الهدى هدى الله أن يوتي أحد مثل ما أوتيتم) بفتح الهمزة (أن) . في ضوء هذه القراءة نلاحظ ما يلي :

١ - أن المصدر المؤول من (أن يوتي) في محل نصب مفعول به لقوله قبل ذلك : ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) .

٢ - أن قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ الْهَدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ ﴾ هو مجرد جملة اعتراضية بين الفعل (ولا تؤمنوا) والمفعول (أن يؤتى) .

٣ - في ضوء ما سبق لا يجوز الفصل بين الفعل والمفعول ، إذ الكلام كله متصل ببعضه ببعض فلا يتم إلا بالوصل .

٤ - والمعنى في ضوء ما سبق : ولا تؤمنوا أي لا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إلا لمن تبع دينكم^(١) .

وقد رأى بعضهم أن (أَنْ) هنا بمعنى : (أن لا) فيكون المعنى : إن البيان ببيان الله ، أن لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ، وهذا يعادل المعنى في قوله تعالى : ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ [النساء : ١٧٦] أي : لتلا تضلوا^(٢) .

الوجه الثاني : (قُلْ إِنْ الْهَدَىٰ هَدَىٰ اللَّهُ) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) ويلاحظ على هذه القراءة ما يلي :

١ - أن الأداة (أن) مركبة من همزة استفهام + أَنْ أو لأن .

٢ - أن الأداة ابتداء كلام ، وهي بذلك مستقلة ، وقبلها وقف .

٣ - المعنى في ضوء ذلك : الآن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم تصديقاً وذلك على

(١) ويرى بعض العلماء أن الفعل (لا تؤمنوا) تعدي إلى المصدر المؤول من (أن يؤتى) بحرف جر مخلوف يفسره كلام سابق في الآية . فهو إذن مصدر في موضع جر ، والتقدير (لا تؤمنوا بأن يؤتى أحد) وذلك يعادل قوله تعالى : ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي ﴾ والقول بأنها في موضع جر هو رأي الظليل ، على حين أن القول بأنها في موضع نصب على المفعولية هو رأي سيبويه انظر الصفة القارص ٢/٣٦٧/٣٦٨ ، وإيضاح الوقت ٥٧٨/٥٦٩ .

(٢) انظر معاني القرآن ١/٣٢٢ ، مشكل مكى ١/١٦٣/١٦٢ ، ومعاني الزيجاج ١/١٢/١٢١ ، وإعراب النحاس ١/٣١٢/٣١٢ ، الطبع ١٢٨ ومعاني الألف ١/٢٧ ، التبيان ١/٣٧٦/٣٧٢ .

وجه التوبيخ ، وهو يقارب المعنى في قوله تعالى : ﴿ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَيُؤْتِي ﴾ [الهم ١٤] أي : الآن كان ذا مال ويؤتي عطيقه ^(١) .
الوجه الثالث : (قل : إن الهدى هدى الله) هنا وقف ، ثم يبدأ بقوله : (إن يؤتي أحدٌ مثل ما أوتيتم) . ويلاحظ هنا ما يلي :
١ - أن الأداة : (إن) بكسر الهمزة جاءت في صدر الكلام نافيه بمعنى (ما) .

٢ - أن الكلام بعدها مستقل عما قبلها ، فحسن الوقف على (هدى الله) .
٣ - أن المعنى في ضوء ذلك : ما يؤتي أحدٌ مثل ما أوتيتم ^(٢) .

ومن هذا المثال يتضح مدى تأثير الأداة على العلاقات التركيبية ، وتداخل ذلك مع أحكام الوقف ، وأثر تضامر هاتين القرينتين في التأثير على معنى الآية من وجه آخر ، بحسب شكل الأداة وموضع الوقف .

٣ - ٢ - ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ لَهُمْ لَا يَهْتَكُونَ ، أَلَا يَسْجَنُوا لَهُ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النحل ٢٨/٢٩] .
وتقرأ هاتان الآيتان على وجهين :

الوجه الأول : (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتكون ، ألا يسجنوا له الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) بتشديد يهتكون ، ألا يسجنوا له الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) بتشديد

(١) راجع الإيضاح ٥٧٩ ، والمكتفى ٢٠٣ ، والبيان ٢٠٨/١ وسوف يأتي مثال الآية ١٤ من سورة القلم بالتفصيل بعد قليل .

(٢) راجع أيضاً إيضاح الوقف ٥٧٩ ، والقريطي ١١٢/٤ ، والنشر ٣٦٦/١ .

(أ) ونسجل الملاحظات التالية على هذا الوجه :

١ - أن (أ) بالتشديد أداة مركبة من : أن مصدرية ناصبة + لا نافية + يسجدوا مضارع منصوب به أن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والمصدر المؤول من أن وما دخلت عليه في محصل نصب مفعول للفعل (زَيْن) أي زين لهم عدم السجود .

٢ - أن الكلام بهذا متحصل فلا يفصل العامل (زين) عن مفعولة (أ) يسجدوا .

٣ - أن المعنى في ضوء ذلك : إن الشيطان زَيْن لهم عدم السجود وحدهم عن السبيل فهم لا يهتدون .

٤ - المعنى السابق يترتب عليه ألا تسجد في الصلاة إذا قرأنا الآية بهذه الطريقة^(١) .

الوجه الثاني : (زين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : (أ) يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض^(٢) ويلاحظ على هذا الوجه ما يلي :

(١) يلاحظ أن خط المصحف الذي بين أيدي الناس نكتب فيه (أ) بالتشديد ويوضح مع هذا خط فوقها يفيد أن هذا موضع سجود ، وهو خلاف ما يشتهه العلماء من ترجية المعنى طيقاً لهذا الضبط وتلك القراءة التي تقتضي عدم السجود . ولجئ لإيضاح الوقف ٨١٦ ومعاني الفراء ٢٩٠/٢ والقطع ٥٣٥ والكشاف ٤٢٩ .

(٢) في إيضاح الوقف : (فهم لا يهتدون أ) هنا وقف ثم يبدأ (يسجدوا لله) . ولا يستقيم الكلام في ضوء هذا الوقف إلا إذا كان المقصود به ترجيحاً من السكت اللطيف الذي يليه إلى أنه يريد العث على السجود وليس يريد النهي عنه . انظر إيضاح الوقف ٨١٦ .

١ - أن (أَلَا) مفتوحة اللام ، غير مشددة : هي حرف تنبيه لايتداء الكلام +
يا أداة نداء أسقط منها الألف تخفيفاً + (اسجدوا أمر مبني على حذف
النون وقد حذف من صدره همزة الوصل + الواو فاعل .

وحذف همزة الوصل في صدر الأمر الواقع بعد (يا) النداء تعط من
الاستعمال العربي معروف في الشعر والنثر ، من ذلك قول ذي الرمة :

ألا يا سلمى يا دارمي على البلى ولا زال مثلاً بجوعائك القطر^(١)

ومن ذلك أيضاً قول النحر بن توب :

فقلت سمياً فانطلق وأجيبى^(٢) .

٢ - في ضوء القراءة السابقة يحسن الوقف على (لايتدون) لأن ما بعده
(أَلَا) هي أداة تنبيه لها الصدارة في ابتداء الكلام .

٣ - أنه يُسنّ السجود في الصلاة في هذا الموضع في ضوء هذه القراءة .

٤ - أن المعنى في ضوء ذلك : إن الشيطان قد زين لهم أعمالهم فصددهم ذلك
عن سبيل الحق إلى سبيل الضلال فهم لا يهتدون .

ألا يا هؤلاء اسجدوا لله الذي يخرج غيب السموات والأرض من الرزق ،

ولا تسمعوا لغواية الشيطان .

(١) انظر معاني الاخطى ٤٢٩/٢ ، ومعاني الزجاج ١١٥/٤ .

(٢) انظر الكشاف لمكي ١٥٨/١٥٧/٢ ، وانظر كذلك معاني الغراء ٢٩٠/٢ .

٣ - ٣ - ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ عتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴾ (القلم ١٤) .

نقرأ هذه الآية على وجهين كذلك :

الوجه الأول : (عتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) ويلاحظ على هذه القراءة ما يلي :

١ - أَنْ : مركبة من : همزة استفهام + أَنْ مصدرية + اسمها ضمير شأن +
كان : ناسخة + اسمها محذوف + ذا خبر كان والجملة خبر أن
المصدرية^(١) .

٢ - أَنْ الاستفهام له الصدارة ، ومن هنا وَقَفَ على (بنين) وابتدئ
بـ (أَنْ) .

٣ - والمعنى في ضوء ما سبق : أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ تطيعه ؟ أو أَنْ كَانَ ذَا
مَالٍ وَبَنِينَ تفعل هذا ؟ أو إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ تطيعه ؟ والاستفهام هنا
للتقريع والتوبيخ .

الوجه الثاني : (عتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ) .

ويلاحظ على هذه القراءة ما يلي :

١ - أَنْ (أَنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف وجملة (كَانَ
ذَا مَالٍ) في محل رفع خبرها .

٢ - أَنْ الكلام متصل بعبءه ببعض إذ المصدر المؤول من (أَنْ) وما دخلت

(١) قيل : إِنْ (إِنْ) المكسرة شرطية : وتقدير الكلام إِنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ فكفر انظر الشيبان ١٢٢٤/٢ .

عليه (كونه ذا مال وثنين) هو الدافع إلى الغش والظلم والتكبير قبله .
٢ - أن المعنى في ضوء ما سبق : أيكفر ويتكبر ويلزم لأنه كان ذا مال وثنين .
ويدعم هذا المعنى ما رواه الفراء من قراءة عيسى الله بن مسعود :
﴿ ولاتطع كل خلاف مهن أن كان ذا مال وثنين ﴾ . فالكلام كله متصل
بعضه ببعض .^(١)

ومن الأمثلة السابقة يتبين أن الآداة تلعب دوراً بارزاً في توجيه المعنى
حين تتضافر مع قرينة الوقف ، وهو دور يماثل الأنوار التي تلعبها قرائن
أخرى سبق عرضها كالعلامة الإعرابية والصيغة وقسراتن لاحقة سوف
يعرض لها البحث .

٢ - الوقف مع الوظيفة النحوية .

إن إضراب كلمة ما على أنها : مبتدأ أو خبر أو فاعل أو نائب فاعل أو
مفعول ، هو إبانة من وظائف نحوية تشغلها الكلمة في الجملة ، والقرائن التي
تساعد على تحديد هذه الوظيفة كثيرة بعضها لغوي ، كالعلامة الإعرابية
والصيغة والرتبة الخ ، وبعضها معنوي : كالاستناد والتعدي والتخصيص
الخ .^(٢) والمقصود باجتماع الوقف مع الوظيفة النحوية ، أن يتأثر المعنى
بمعتصرين : اعتبار واحد معينة تشغل وظيفة معينة في تركيبها من جانب ،
والوقف على موضع يعينه طيقاً لهذا التوجيه

(١) انظر الطبع ٧٣٦ ، وإيضاح الوقف ٩١٢ ، كلمات القرآن ٢٧٩ والمكتفى ٥٨١ . وبشكل مكمل

٢٣٩/٣٣١/٢ . ومغني القراء ١٧٢/٢ .

(٢) انظر العربية معناه وميثاقها الفصل الخامس النظام النحوي من ١٩٠ وما بعدها .

الوقوفى للوحدات من جانب ثان . وهذه أمثلة توضح ذلك :

٤ - ١ ففى قَوْل الحق سبحانه وتعالى : ﴿ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِمَ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأنعام ١٦] نقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِمَ يَدْخُلُوهَا ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (وهم يطمعون) . ويتركب ما بعد الوقف مما يلي :

١ - واو : استئنافية + هم : ضمير مبني فى محل رفع مبتدأ + جملة فى محل رفع خبر (فعل + فاعل) . والجملة من المبتدأ وخبره ابتدائية لامحل لها من الإعراب .

٢ - كونه الجملة السابقة ابتدائية يعنى الابتداء بها . وقبلها وقف .

٣ - المعنى فى ضوء ذلك : سلام عليكم لم يدخلوها ، وهم يطمعون فى دخولها . قال الجحد مقصور على الدخول وحده دون الطمع . وقد صيرُ الوقفُ الطمعَ مستقلاً عن الدخول فالأخير مثلى على حين أن الطمع مثبت . فهناك إذن استقلال وظيفى ودلائى .

الوجه الثانى : ﴿ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِمَ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ بالوقف على (لم يدخلوها) . وهنا نلاحظ على (وهم يطمعون) .

١ - الواو : للحال + هم مبتدأ + يطمعون : جملة خبر المبتدأ . والجملة فى محل نصب حال من (الواو) فى (يدخلوها) .

٢ - أن الجملتين : أن سلام عليكم لم يدخلوها ، وهم يطمعون قد ارتبطتا

وتليفاً ، فالثانية حال من (الوار) في (يدخلوها) في الجملة الأولى .
مما ترتب عليه عدم إمكان الفصل بينهما .

٣ - في ضوء الارتباط السابق بين الجملتين انتقل معنى الجهد إلى الطمع
فصار معنى الآية : أن سلام عليكم يدخلونها وهم لا يطعمون في دخولها ،
وهذا مماثل قولنا : ما خسرت عبد الله وعنده أحد ، أي : خسرت عبد الله
وليس عنده أحد ، ومنه قولهم : ما كائنها أعرابية

أي : كائنها ليست أعرابية

« وأنشد اللزّاء » :

ولا أراها تزال شاملة تحدث لي نكية وتنكّوها

أراد : وأراها لا تزال شاملة ، فمعنى الجهد الأول التأخير ^(١) »

٤ - ٢ - ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ والله بكل شيء عليم ،
في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ [النور ٣٦/٢] تقرأ الآية
السابقة على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ هنا وقف كافر ، ثم يبتدأ بقوله
: ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ ، ويلاحظ على هذا
الوجه من القراءة ما يلي :

١ - أن (في بيوت) شبه جملة متعلق بـ (يسبح) بعد ذلك .

(١) انظر إضاح الوقت ٦٥٦/٦٥٥ ، ومجاني القراءة ٧٥/٢ ، والمكتبي ٢٧١ ، وإعراب النحاس
٦١٤/١ ، والبيان ٣٦٢/١ ومشكل مكى ٢٩٢ ، والقطع ٢٢٥/٢٢٤ والبيان ٥٢١/١ .

٢ - أن (في بيوت) بالتعلق السابق صار منفصلاً لفظاً عما قبله فجاز الوقف على ما قبلها .

٢ - أن المعنى في ضوء ذلك : يسيح^١ لله رجال في بيوت أذن أن ترفع ويذكر فيها اسمه بالغنى والأصالة .

الوجه الثاني : ﴿ والله بكل شيء عليم ﴾ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴿ ويلاحظ على هذا الوجه ما يلي :

١ - أن (في بيوت) تعلق بما قبله ، فإما أن يكون متعلقاً بمنصوب حال من (المصباح والزجاجة والكوكب) أو صفة المصباح في قوله : (فيها مصباح) أو متعلقة بالفعل (يوقد من شجرة مباركة) أو صفة لشكاة : أي كمشكاة في بيوت .

٢ - في ضوء التعلق السابق لا يجوز أن نقف على (عليم) حتى لا تنصل بين (في بيوت) وبين ما تعلق به قبل ذلك سواء أكان المصباح أم الزجاجة أم الكوكب أم المشكاة أم الفعل (يوقد) .

٢ - والمعنى في ضوء ذلك : مثل ثوره كمشكاة في بيوت أذن الله أن ترفع (أو كمصباح في بيوت) أو (زجاجة في بيوت) أو (كوكب في بيوت) أو (يوقد في بيوت) (١) ... الخ

٤ - ٣ - ومن ذلك أخيراً تنتم نفس الآية : ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ﴾ يسيح^١ له فيها بالغنى والأصالة رجال لا تلهيهم

(١) راجع في ذلك إرشاح الرائف ٧٩٧ ، والقطع ١١١ ، ومعاني القراء ٢/٢٥٢ والتهيان ٢/٩٧ .

تجارة ﴿. اقرأ هذه الآية على عدة أوجه على النحو التالي :

الوجه الأول : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه . يسبح له فيها بالغنوة والأصوال رجال لا تلهيهم تجارة ..) ويلاحظ على هذه القراءة ما يلي :

١ - أن (في بيوت) شبة جملة خبر مقدم + رجال : مبتدأ مؤخر :

٢ - ليس في وسط الآية أوقاف لا على قوله : (اسمه) ولا على (الأصوال) ولا يبتدأ بـ (رجال) . منعاً للفصل بين المتلازمات ..

٣ - والمعنى في ضوء ذلك : رجال لا تلهيهم تجارة في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبحون له فيها بالغنوة والأصوال .

الوجه الثاني : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغنوة والأصوال) هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ..) ويلاحظ على هذا الوجه ما يلي

١ - أن (في بيوت) شبة جملة متعلقة بـ المصباح أو الكوكب أو الزجاجاة المشكاة أو (يوقد) أي متعلقة بما قبلها .

٢ - أن (يسبح) مضارع مبني للمجهول (مفتوح الياء) + له : نائب فاعل لـ (يسبح) .

٣ - أن (رجال) : فاعل لفعل محذوف تقديره : يسبح .

٤ - الوقف الوحيد على قوله : (والأصوال) .

والمعنى في ضوء ذلك : مثل نوره كمشكاة في بيوت أذن الله أن ترفع

ويذكر فيها اسمه . يسبح له فيها بالغنم والأصنام . يسبح لله رجال
لاتلبيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله .

الوجه الثالث : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه) هنا وقف ، ثم
يبتدأ يقول : (يسبح له فيها بالغنم والأصنام رجال لاتلبيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله) ويلاحظ هنا ما يلي :

١ - أن (في بيوت) متعلق بما قبله أي صفة أو حال من مشكاة أو مصباح
الخ .

٢ - أن يسبح : فعل + رجال : فاعل

٣ - لا يجوز الوقف على (الأصنام) حتى لاتنفصل الفعل من الفاعل .

٤ - المعنى في ضوء ذلك : مثل نوره كمشكاة في بيوت أذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه . يسبح له رجال بالغنم والأصنام لاتلبيهم تجارة ولا بيع
عن ذكر الله .^(١)

ويجمل أن تسجل التغيرات التي أثرت على المعنى في هذه الأوجه :

١ - تعدد الوظائف النحوية لـ (في بيوت) فهي إما حال من مشكاة أو مصباح
أو زجاجة أو كوكب أو صفة لها أو متعلقة بـ (يوقسد) . أو خير مقدم
لـ (رجال) .

(١) راجع في ذلك . الكشف لـ ١٣٩/٢ . معاني الغراء ٢٥٢/٢ . التلخيص ١١٢/٥١١ . المكتفى ٤٠٩ .
إيضاح الوقف ٧٩٨ . معاني الزجاج ٤٠/٤ . والبيان ١١٦/٢ . والشبان ٩٧١/٩٧٠/٢ والقرطبي
٢٧٤/١٢ والنشر ٣٢٢/٢ الطبري ١٤٤/١٨ .

٢ - تعدد الوظائف لكلمة (رجال) فهي إما مبتدأ مخبر أو فاعل لـ (يسبح) قبلها ، أو فاعل لفعل محذوف تقديره (يسبح) .

٣ - تعدد أحكام الوقف إما على قوله : (عظيم) أو (اسمه) أو (الأصل) .^(١) أو عدم الوقف على أي منها .

وقد تعارضت هذه العناصر سواء الوظيفة النحوية المعينة أو الوقف في توجيه المعنى بطريقة معينة على النحو الذي سبق بيانه .

ويلاحظ أن الوظائف النحوية لـ (نبيوت) و (رجال) قد تنوعت برغم ثبات العلامة الإعرابية فيهما ، وهو ما يعني أن التأثير نتج عن الوظيفة التي شغلتها الوحدة يصرف النظر عن أية قرينة أخرى . خلا الوقف الذي شارك هو الآخر في هذا التوجيه .

٥ - الوقف مع قرينة الإسناد .

إن المقصود بالإسناد كقرينة مؤثرة على الدلالة التركيبية بمشاركة الوقف في هذا العنوان هو إسناد الفعل للضمائر خاصة . فقد نجد أن الفعل في قراءة يستند إلى ضمير وفي قراءة أخرى يستند لضمير آخر ويؤثر موقع الوقف ، وتغيير تبعاً لذلك دلالة التركيب . ومن الأمثلة التي توضح ذلك .

٥ - ١ - قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فلما وضعته قالت : رب أنى وضعته أناشئ والله أعلم بما وضعت ﴾ [ال عمران ٣٦] .

(١) ثمة عنصر شارك بطريقة غير مباشرة وهو (يسبح) يعينه البناء لما يسمى فاعله . و (يسبح) بصيغة البناء لما لم يسم فاعله .

ونقرأ الآية السابقة على الوجه التالي :

الوجه الأول : ﴿ فلما وضعتها قالت : ربّ إني وضعتها أنثى ﴾ هنا وقف ثم يبدأ بقوله : (والله أعلم بما وضعت) ويلاحظ على هذه القراءة :

١ - أن الفعل : (وضعت) ملحق به تاء تانيث ساكنة تعود على أم مريم ، والفاعل ضمير مستتر تقديره : هي .

٢ - أن في الآية التفاتاً من التكلم على لسان أم مريم قبل ذلك : (إني نذرت ، فتقبل ، إني وضعتها) ويعد ذلك أيضاً (إني سميتها وإني أعيدها ، فتقبلها) وتحول إلى الحكاية عن الغائب (وهو أم مريم نفسها) (والله أعلم بما وضعت) وفق هذه القراءة ، وهو من كلام الحق سبحانه وتعالى . ولهذا حسن الوقف تنبيهاً إلى هذا الالتفات على قوله : (أنثى) والبدء بقوله : (والله أعلم بما وضعت) وذلك لعدم وجود علاقة لغتية بين السابق واللاحق .

٣ - والمعنى في ضوء ذلك : والله أعلم بالشيء الذي وضعت أم مريم ، وبما علق به من عقابم الأمور ، وأن يجعله وولده آية للعالمين ، وهي (أم مريم) جاعلة بذلك لا تعلم منه شيئاً ، فلذلك تحسرت ، وفي قراءة ابن عباس : (والله أعلم بما وضعت) على خطاب الله لها ، أي أنك لا تعلمين قدر هذا الموهوب ، والله هو العالم بما فيه من العجائب والآيات .^(١)

الوجه الثاني : (قالت : ربّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت) يلاحظ

(١) انظر إيضاح التلويح ٢٨/٨ ، والكتشاف ٤٢٥/١ ، وإيضاح الوقف ٥٧٥ ، الكشف ٢٤٠/١ والطبع ٢٢١/٢٢٠ .

على هذا الوجه مايلي :

١ - أن الفعل (وضعت) مستند لضمير المتكلم المفرد ، والكلام بهذا متصل بما قبله لفظاً ومعنى فيكمل الضمائر السابقة واللاحقة هي على لسان (أم مريم) كما سبقت الإشارة .

٢ - أنه في ضوء ما سبق لا وقف على (أنش) متعاً للفصل بين المتصل من الكلام .

٣ - والمعنى في ضوء ما سبق : قالت : ربّ إنش وضعتها أنش ، وأنت أعلم بما وضعت ، فهو كالتسبيح والخضوع والاستسلام ، وليس تريد بذلك إختياراً .^(١)

الوجه الثالث : (قالت : ربّ إنش وضعتها أنش) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : (والله أعلم بما وضعت) وهنا تلاحظ :

١ - أن الفعل (وضعت) جاء مستنداً لضمير المخاطبة ، والكلام هنا على لسان الحق سبحانه وتعالى ، وهو بذلك متفصل عما قبله الذي هو بصيغة التكلم معاً اقتضى الفصل بالوقف على (أنش) تنبيها لهذا الالتفات الناتج عن اختلاف إسناد الفعل لضمير المخاطبة بعد أن كان مستنداً لضمير المتكلم .

٢ - وفي ضوء ذلك فإن المعنى : يا ربّ إنش وضعتها أنش (مخاطبة الحق سبحانه) فرد الحق مخاطباً إياها : والله أعلم بأمر الذي وضعته وليس

(١) انظر العدة للدارمي ٢/٢٤١ ، ومغني الفراء ١/٢٠٧ ، والطبري ٦/٣٣١ .

الذكر الذي تمنحته كالأنثى التى وهبته إياها ، إنها ستكون وولدها آية للعالمين ، وهذا ما لا تعرفين .^(١)

ونسجل الملاحظات التالية على هذا المثال .

١ - من المثال السابق ، يتبين أن الفعل (وهبت) فى القراءة الأولى لم يسند لضمير بل الحق به تاء تأنيث ، على حين أسند إلى (تاء المتكلم) فى الثانية و[تاء المخاطبة] فى القراءة الثالثة .

٢ - ترتب على هذا التعبير فيما أسند للفعل اختلاف فى حكم الوقف على (أنثى) منعاً فى القراءة الأولى وجوازاً فى القراءتين الثانية والثالثة .

٣ - أن المعنى فى ضوء اختلاف قرينتى الإسناد والوقف قد تغير من وجه لآخر على النحو الذى سبق بيانه .

٥ - ٢ - ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَنْتَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج ٢٧]
تقرأ الآية السابقة على وجهين :

الوجه الأول : (وَأَنْتَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ) ويلاحظ على هذا الوجه ما يلى :

١ - أن الفعل (يأتين) مسند إلى (ثون النسوة) وهو يعود على قوله (كل ضامر) قبله مباشرة .

(١) راجع القطع ٢٢٠/٢٢١ ، والكشف ٢٤٠/١ ، والقرطبي ١٤/٢ .

٢ - ترتب على ما سبق عدم جواز الوقف على قوله (ضامر) كيلا تفصل بين الثقت (جملة يأتين) وبين المنعوت (كل ضامر) .

٣ - في ضوء ما سبق فإن المعنى على هذا الوجه : وأذن في الناس بالحج ، يأتي الحجيج راجلين من كل صوب ، وآخرون راكبين وتأتي نوابهم ضامرة مكتودة من وضاء السفر من كل صوب بعيد .

الوجه الثاني : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : (وعلى كل ضامر يأتون من كل فج عميق) ويلاحظ على هذا الوجه :

١ - أن الفعل (يأتون) الثاني جاء مستنداً إلى (واو الجماعة) وهو بذلك عائد على الحجيج .

٢ - أن الوقف على (كل ضامر) هو وقف حسن للبيان وبه تدفع توهم أن الإتيان يعود إلى (كل ضامر) على حين أنه في ضوء هذا الوجه ، إنما يعود إلى الحجيج .

٣ - والمعنى في ضوء الوجه الثاني : وأذن في الناس بالحج يأتى الحجيج ، منهم راجلون وآخرون راكبين نوابهم الضامرة ، ويأتى الجميع من كل حذب وصوب بعيد .^(١)

وقد أثر تنوع الضمير الذي أسند إليه الفعل يأتى ما بين نون النسوة وواو الجماعة ، مع تغير حكم الوقف على (ضامر) وعدم الوقف ، تعاونت

(١) راجع معاني الزجاج ١٢٣/٣ ، ومعاني الفراء ٢٢٤/٢ ، والمكتلى ٣٩٥/٣٩٤ والقطعة ٢٩١ ، وإيضاح الوقف ٧٨٥ ، ٧٨٥ والقرطبي ٢٩/١٢ - ٤٠ .

القرينتان معاً في توجيه المعنى من وجه لوجه .

٥ - ٣ - ومن اجتماع الوقف والإسناد أخيراً قوله تعالى : ﴿ فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً ﴾ [الفرقان ٣٦]

تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : وهي القراءة المشهورة : (فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : (فدمرناهم تدميراً) يلاحظ على هذا الوجه :

١ - أن الفعل (فدمرناهم) مستند إلى نا الدالة على الفاعلين ، وهو فعل في صيغة المضى + هم مفعول .

٢ - أن الأمر بالذهاب للمكذبين إيلاخ ، والتدمير إخبار بالجزاء فهما منفصلان ، والفصل مشعر بالإهمال ، والرحمة الإلهية التي تعطيتهم الفرصة ليثوبوا إلى رشدهم . ولذلك جاء الوقف ليفصل بين الإيلاخ وبين العقاب .

٣ - والمعنى في ضوء ماسبق : فبلغناهم الرسالة ، فلم يقبلوا متهماً : فقال عز من قائل : فدمرناهم تدميراً ، قاضياً عليهم بما يستحقون بعد أن بلغهم ثم أمهلهم فلم يرتدوا عن غيهم .

أما الوجه الثاني : وهو قراءة شاذة مروية عن علي بن أبي طالب : (فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميراً) . ويلاحظ على هذه القراءة :

١ - أن الفعل (دَمَرْتُهُمْ)^(١) مركب من تَمَر : فعل أمر + نون توكيد ثقيلة + فاعل مستتر تقديره أنت + هم : مفعول به + (تدميراً) مفعول مطلق مؤكد .

٢ - يلاحظ أن الأمر بالتدمير مسبب عن العصيان والعناد ، فلا يفصل المسبب (التدمير) عن السبب (العناد والتكذيب) ، وهو ما يجعل الوقف على (باياتنا) غير مناسب ، لأنه يفصل بين السبب والمسبب .

٣ - والمعنى في ضوء ما سبق : أنهم لما عصوا ما سبق : أنهم لما عصوا ما كان سبباً لهلاكهم .^(٢)

مما سبق يتبين أن الوقف قد تعاون مع قرينة أخرى في التأثير على الدلالة التركيبية ، وقد عرض البحث للوقف مع العلامة الإعرابية ثم الوقف مع الصيغة ، ثم الوقف والأداة فالوقف والوظيفة النحوية وأخيراً الوقف مع الاستثناء للضمائر . وقد أكد البحث أن تأثير الوقف على الدلالة التركيبية بالتعاون مع إحدى هذه القرائن لا يعني أن الوقف لا يتعاون إلا مع هذه الطائفة من القرائن ، بل إن ما ذكر من قرائن هو مجرد عينة لإبراز هذا الأثر فحسب دون أن يعنى حصراً لكل القرائن التي تشارك الوقف الأثر . ولعل الصفحات المتبقية من هذا البحث تلجج في إلقاء مزيد من الضوء على عينة أخرى من الأمثلة اجتمعت فيها قرينتان فأكثر بالإضافة للوقف ، وهو نمط من أنماط تصافر القرائن في توجيه الدلالة التركيبية ، وهو نمط أكثر ثراءً وعمقاً من حيث تنوع القرائن وما ترتب على ذلك من أثر على المعنى .

(١) كتبت في إيقاع الوقف : (دَمَرْتُهُمْ) وجاءت في شواذ القراءات (دَمَرْتُهُمْ) بنون خفيفة ، (وَلَمَرْتُهُمْ) على صيغة الفعل به (وَلَمَرْتُهُمْ) ما عسى مستند للقراء . انظر إيقاع الوقف ٨٠٧ ، واللمع ٥٢٢ . ويقتصر في شواذ القراءات ١٠٥ .

الفصل الثالث
أثر الوقف مع قرينتين فاكثو

2

3

4

الفصل الثالث

أثر الوقف مع قرينتين فأكثر

إن التركيب اللغوي هو بنية مركبة من مجموعة من العناصر الصرفية والنحوية وهذه العناصر تتمثل في نوعين ، ميان ومعان ، وكلا النوعين له دور في الدلالة التي يؤديها التركيب ، غير أن بعض العناصر قد يطغى أثره في تحديد المعنى من بين الاحتمالات الدلالية التي تسمح بها صيغته المكونة له . فقد يكون التأثير هو العنصر البارز القادر على تحديد المعنى وقد يكون التنظيم وقد يكون الوقف بين الوحدات ، وقد يكون حذف عنصر أو وجود صيغة معينة وربما كان العامل الحاسم هو العلامة الإعرابية لوحدة معينة أو أكثر ، أو غير ذلك من قرائن ، وربما اجتمع أكثر من قرينة تدعم كون معنى معين هو المقصود من التركيب المعين . فكل العناصر المقالية ، الصوتية والصرفية والنحوية ، وما تحمله من قيم دلالية لها دور في تحديد المعنى مع التسليم بأن أحد هذه العناصر وهو القليل أو مجموعة منها وهو الغالب قد تكون أكثر بروزاً في توجيه المعنى وجهة معينة دون غيرها من القرائن القادرة على هذا التوجيه . والبحث يرصد من خلال الأمثلة الأثر الذي يؤديه الوقف مع قرينتان فأكثر .

ومن أمثلة اجتماع الوقف مع قرينتين أخريين ما يلي :

١ - اجتماع الوقف مع العلامة الإعرابية والصيغة مثل :

١-١ قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر ﴾ [سورة البقرة ٢٦٠] فهذه الآية تقرأ بثلاث طرق أو على ثلاثة أوجه .

الوجه الأول : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ يرفع (الملائكة) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : ﴿ وقضى الأمر ، وإلى الله ترجع الأمور ﴾ .

والمعنى في ضوء قراءة الرفع ، وطبقاً لهذا الوقف هو : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله ويأتيهم الملائكة في ظلل من الغمام .

الوجه الثاني : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ﴾ يجر (الملائكة) هنا وقف ثم يبدأ بقوله : ﴿ وقضى الأمر ، وإلى الله ترجع الأمور ﴾ على اعتبار أن الملائكة معطوفة على الغمام .

والمعنى وفقاً لهذا الوجه : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وظلل من الملائكة .

الوجه الثالث : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضاء الأمر ﴾ يجر (الملائكة) ، ومجىء (قضاء) بصيغة المصدر ، وليس فعلاً كما في القراءة بين الأوليين ، هنا وقف ثم يبدأ ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ .

والمعنى على القراءة الأخيرة : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام مع الملائكة ومع قضاء الأمر . أو : هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام وبالملائكة وبقضاء الأمر^(١) .

وهذا نلاحظ تضامر ثلاثة قرائن مؤثرة على توجيه المعنى ، الأولى قرينة العلامة الإعرابية وتمثلت في التنوع بين جر الملائكة ورفعهما ، وقرينة الوقف

(١) انظر إرشاد الوقف ٥٤٨/٥٤٩ ، ومعاني القراء ١٢٤/١ ، ومعاني الزواج ٢٨٠/٢٨١ وأعراب النحاس ٢٥٩/١ ، ٢٥٢ ، وتفسير الرازي وتفسير الكشاف ٣٥٣/١ ، القطع ١٨٢ ، ومعاني الألف ١٧٠/١ وتفسير القرطبي ١٩/٢ .

يعد (الملائكة) أو يعد (الأمر) ، وقرينة الصيغة بين صيغة الفعل (قضى) وصيغة المصدر (قضاء) لتجعل لكل وجه من هذه الأوجه معنى يختلف عن معنى سواه .

٢-١ ومن ذلك أيضاً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ قال يانوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ﴾ [سورة نوح : ٤٦] .

نقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : ﴿ قال يانوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ﴾ وتركيب الشق الثاني من الآية على النحو التالي :

إن الثانية : حرف توكيد + الهاء اسمها (عائذ على ابن نوح أى الهاء اسم إن الأولى) عمل : (فعل ماضى + فاعله ضمير يعود على اسم إن + غير : مقول + صالح : مضاف إليه ، وجملة عمل : خبر (إن) .

والمعنى على هذه القراءة : إن ابنك يانوح قد عمل عملاً غير صالح ، أو إن ابنك ذو عمل غير صالح .

الوجه الثاني : ﴿ قال يانوح إنه ليس من أهلك ﴾ هنا وقف ثم يبدأ بقوله : ﴿ إنه عمل غير صالح ﴾ . وتركيب الآية الأخيرة :

إن (الثانية) : ناسخة + الهاء اسمها عائذ على محذوف تقديره : إن سؤالك + عمل مصدر خبر إن + غير : ثبوت للمصدر مرفوع + صالح : مضاف إليه .

والمعنى في ضوء القراءة الثانية : إن سؤالك إياي أن أنجي كافرًا هو عمل غير صالح أو : إن سؤالك ما ليس لك به علم عمل غير صالح^(١).

وهنا تتعاون قرينة الصيغة المتمثلة في (عمل) الذي تنوعت فيه بين الفعلية والمضمرية ، وقرينة العلامة الإعرابية التي تنوعت بين رفع (غير) صفة لعمل أو نصبها على المفعولية ، وقرينة الوقف على (أهلك) أو عدم الوقف ، تعارفت ثلاث القرأتين في توجيه المعنى هذه الوجهة أو تلك على النحو الذي سبق تسجيله .

٣-١ ومن ذلك أخيراً قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ من يضل الله فلا هادي له ، ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ [سورة الأعراف ١٨٦] .

تقرأ هذه الآية الكريمة على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : ﴿ من يضل الله فلا هادي له ﴾ هنا وقف ثم يبدأ بقوله : ﴿ ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ وتركيب الجملة الفعلية الأولى في الآية الثانية : ويذرهم : واو استئنافية + مضارع مبني بياء الغيبة ، وهو مرفوع + فاعل مستتر تقديره هو عائد على لفظ الجلالة + هم : مفعول الخ .

ومعنى الآية الثانية على ذلك : وهو يذرهم في طغيانهم يعمهون .

الوجه الثاني : ﴿ من يضل الله فلا هادي له ﴾ هنا وقف ثم يبدأ بقوله : ﴿ ويذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ وتركيب الجملة الفعلية الأولى في الآية الثانية : ويذرهم : الواو للاستئناف + مضارع مبني بالنون للتكلم ، وهو مرفوع + فاعل مستتر تقديره نحن (الحق سبحانه) + هم : مفعول .

(١) انظر إرشاد الوقف ٧١٣ ، ومعاني الفراء ١٨/١٧/٢ ، ومعاني الزجاج ٥٥/٢ ، والفتح ٢٩٠ ، ومشكل مكى ٣١٧/٣١٧/١ ، والمكتلى ٢١٦ ، والبيان ١٦/٢ ، والقرطبي ١٦/٩ ، الطبري ٢١٧/١٥ .

والمعنى وفقاً لهذا الوجه : ونحن نذرهم في طغيانهم يعمهون .

الوجه الثالث : ﴿ من يضلل الله فلا هادي له ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون ﴾ لاوقف قبل (ونذرهم) ، وتركيب الجملة السابقة :

ونذرهم : الواو عاطفة + مضارع مبدوء بياء الغيبة ، مجزوم عطفاً على محل (فلا هادي) وهو الجزم في جواب الشرط وذلك كثير في كلام العرب من ذلك قول الشاعر :

فأبليت بليتكم لعلي أصالحكم لاستدريج توراً

فجزم استدريج بالعطف على موضع (علي أصالحكم) المجزوم جوازاً في جواب الطلب ، ومن ذلك أيضاً :

أيأ حريت فإنتى لك كاشعج وعلى انتقامك في الحياة وأزبد
فجزم (وأزبد) على التمسق على محل الغاء ، وأنشد الأحمش البصري :

دعني فإذهب جانيأ يومأ وأكفك جانيأ
فجزم (وأكفك) على التمسق على محل الغاء .

وبقية تركيب الجملة معروف (الفاعل مستقر تقديره هو عائذ على لفظ الجلالة + هم : مفعول) .

وعلى القراءة الأخيرة لاوقف على قوله (لا هادي له) لئلا تفصل بين المنسوق عليه (موضع لا هادي) والمنسوق (نذرهم) .

والمعنى على هذا الوجه : من يضلل الله يذره في طغيانه عامها ، وليس له هاد^(١) .

(١) انظر معاني الزجاج ٢/٢٩٢ ، ومعاني الفراء ١/٨٦ ، والبيان ٦/٢٨٠ وإيضاح الوقف ٦٧٦ ومشكل مكى : ٢٠٦/١ .

وتضاف قرأتين : الصيغة في تنوع النية والتكلم (يذروهم / نذروهم)
والعلامة الإعرابية ، في رفع الفعل وجزمه ، والوقف على (لا هادي له)
وعدمه ، تضافر ذلك في توجيه المعنى وأصبح كما سبق بيان ذلك .

٢- اجتماع الوقف والعلامة الإعرابية والوظيفة النحوية :

مرّ بنا اجتماع الوقف مع العلامة الإعرابية ، كما مرّ إيضاح اجتماع
الوقف مع الوظيفة النحوية ، وهنا يجتمع ثلاثهم في توجيه المعنى ومن أمثلة
ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً ،
لاتخاف دركاً ولا تخشى ﴾ [سورة طه ٧٧] .

نقرأ هذه الآية على أربعة أوجه وذلك على النحو التالي :

الوجه الأول : ﴿ فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً ، لاتخاف دركاً ولا
تخشى ﴾ . وتركيب الجملة الثانية من :

لاتخاف : (لا) نافية ، (تخاف) مضارع مرفوع + فاعله ضمير
مستتر تقديره أنت . والجملة السابقة في محل نصب صفة لـ (طريقاً) وعلى
هذا الوجه لا يجوز الوقف على (يبساً) حتى لا تفصل بين المنعوت (طريقاً)
والنعت جملة (لاتخاف) .

والمعنى في ضوء ما سبق : فاضرب لهم طريقاً لست تخاف فيها دركاً .
ويجوز اعتبار جملة (لاتخاف دركاً) في محل نصب حال من الضمير في
قوله (اضرب) العائد على موسى عليه السلام وعليه يكون المعنى : فاضرب
لهم ياموسى طريقاً في البحر يبساً غير خائف دركاً . وفي ضوء التوجيه
الآخر لا يجوز كذلك الوقف على (يبساً) كيلا تفصل بين صاحب الحال وهو
الضمير في (اضرب) وبين الحال (جملة لاتخاف) .

الوجه الثاني : « فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً » هنا وقف ، ثم يبدأ بقوله : (لاتخاف دركاً ولاتخشى) .

جملة لاتخاف : جملة استثنائية ، فيها الفعل مرفوع ، والمعنى في ضوء ذلك : فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً ، فانت لاتخاف دركاً ولاتخشى .

الوجه الثالث : « فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً ، لاتخف دركاً » هنا وقف ، ثم يبدأ على الاستئناف بقوله : (ولاتخشى) .

ولاتخف : لانا في (١) + تخف مضارع مجزوم جوازاً في جواب الطلب (فاضرب) والمعنى في ضوء ما سبق : إن تضرب لهم طريقاً في البحر يبساً ، لاتخف حيثئذ دركاً ، ويستأنف (ولاتخشى) أي وانت لاتخشى .

الوجه الرابع : « فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً ، لاتخف دركاً ، ولاتخشى » .

لاتخف : مجزوم في جواب الطلب + فاعل مستتر + دركاً مفعول .

ولاتخشى : واو عاطفة + لاتخشى معطوفة على لاتخف ، وثبتت الياء فيه ، وهذا جائز في لغة العرب . وعن ذلك قول الشاعر :

هزى إليك الجذع يجنك الجنى

ولم يقل يجنك . وقال آخر :

هجوت زياناً ثم جئت معذوراً من سب زيان لم تهجو ولم تدع

وقال آخر :

آلم يأتيك والأنباء تنسى - بما لاقت كيون بلى زياد

(١) لعب الزجاجة أنها ناهية جازمة ، والمعنى هذه ، لاتخف أن يدركك فرعون ولاتخشى الفرق من .

فأثبتت في (يأتيك) الياء ، وهي في موضع جزم ، وكذا (لاتخشى)
برغم أنها في موضع جزم عطفًا على (لاتخف) فقد بقيت فيها الياء ، وذلك
يمثل قول الحق سبحانه ﴿ يولوكم الأديار ثم لا ينصرون ﴾ [سورة آل عمران ١٦٦]
فاستأنف بثم فهذا مثله^(١).

والمعنى على الوجه الرابع : إن تضرب لهم طريقًا في البحر يبسا
لاتخف ولا تخشى حينئذٍ دركًا .

٢- وقد يجتمع مع الوقف أكثر من قريتين على نحو ما يظهر في الأمثلة
التالية :

١-٢- اجتماع قرأتين : الوقف ، والصيغة والوظيفة النحوية ، والحذف . من
ذلك قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ﴾ [سورة
إبراهيم ٢٤] . تقرأ هذه الآية على وجهين :

الوجه الأول : (وآتاكم من كل ما سألتموه) وتتركب هذه الآية مما يلي :

آتاكم : فعل + فاعل مستتر عائد على (الحق) + كم (مفعول) .

من كل : جار + مجرور غير منون .

ما سألتموه : ما مضاف له (كل) وهي موصول مبني في محل جر +

جمله صلة ما (فعل + فاعل + مفعول) لامحل لها من الإعراب .

والمعنى في ضوء القراءة السابقة : إن الله قد آتاكم من كل شيء

سألتموه أن يعطيكم إياه .

(١) معاني القرآن ١/٨٧ وانظر إرشاد الوقف ١٦٩/١٦٨ ، ومعاني الأخفش ٤٠٨/٢ ، والمكتفى
٢٨١ ، ومعاني الزجاج ص : ٤٦٧ ، وانظر القرطبي ٢٨٩/١١ والنشر ٣٢١/٢ .

الوجه الثاني ، (وأتاكم من كل) هنا وقف ثم يبتدا بعد كل المنونة :
(ماسألتموه) . وتركيب الآية السابقة :

أتاكم : فعل + فاعل مستتر + مفعول

من كل : جار ومجرور ملون تتوين عوض عن كلمة مسألتموه والتقدير من كل شيء .

ماسألتموه : ما : تافية + سألتموه (فعل + فاعل + مفعول) .

والمعنى في ضوء القراءة السابقة : وأتاكم من كل شيء لم تسألوه إياه .
أي أنه تفضل عليكم بنعم لم تسألوه أن يتفضل بها عليكم ، فتحن لم تسأله
مثلاً أن يهينا شمسك ولاقمرك ، وهي نعم امتن بها علينا دون أن نسأله إياها ،
وهذا مزيد فضل منه سبحانه^(١).

وقد تمثلت قرينة الصيغة في اعتبار (ما) اسماً أو اعتبارها حرفاً .
وتمثلت قرينة الوظيفة في إعراب (ما) إما اسماً مضافاً لكل ، أو اعتبارها
حرفاً يفيد التفي .

وقرينة الحذف تمثلت في حذف كلمة (شيء) والتعويض عنها بالتتوين
في كل ، أو اعتبار (ما) هي الشيء فلاحذف .

وقرينة الوقف تمثلت في إمكانية الوقف على كل منونة ، وعدم إمكانية
ذلك وهي غير منونة ، وفي ضوء تضامر هذه القرائن معاً ، ثم توجيه المعنى
في كل قراءة من هاتين القراءتين على الأنحاء التي سبق بسطها .

(١) راجع في هذا معاني القراء ٧٨/٧٧/٢ ، والكتلي ٣٤٠ . وإيضاح الوقف ٧٤٦/٧٤٦ ، ومعاني
الأنفص ٣٧٦ ، ومعاني الزجاج ١١٢/٣ ، والقطر ٤١٦ .

٢-٣- اجتماع الوقف والوظيفة النحوية والصيغة ، والعذاب والدلالة المعجمية .

وقد تزيد القرائن وتتنوع بشكل أكثر تكثيفاً كما في توجيه قراءة قوله تعالى : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب ﴾ [سورة البقرة ١٦٤] ففي هذه الآية كما يقول القرطبي : إشكال وحذف ، ويقول أبو جعفر النحاس : وفي هذه الآية قراءات وإعراب ومعان يحتاج معرفتها مع التمام^(١) وليس يشغلني أنهما قد أدركا تعدد القرائن التي توجه المعنى ، فالآية السابقة تقرأ على الأرجح التالية :

الوجه الأول : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً ، وأن الله شديد العذاب ﴾ بلا وقف . ونلاحظ على هذه القراءة :

(أ) أن الفعل (يرى) بالياء أي بصيغة الغيبة .

(ب) همزة (أن) الأولى والثانية مفتوحة .

أما إعراب هذه الآية فعلى النحو التالي :

ولو يرى : عاطف + أداة شرط غير جازمة + مضارع مرفوع .

الذين ظلموا : الذين فاعل (يرى) + جملة فعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب (فعل + فاعل) .

إذ يرون العذاب : ظرف + جملة (فعل + فاعل + مفعول) مضافة لـ (إذ) .

أن القوة لله جميعاً : ناسخ + اسمه + خبره (شبه جملة) والمصدر المؤول من جملة الناسخ مفعول يرى + حال .

(١) انظر القطع ص ٩٤ .

وأن الله شديد العذاب : جملة معطوفة على (أن القوة لله جميعاً) ناسخ + اسعه + خبره + مضاف إليه .

وعلى مستوى الوقف ، الكلام كله متصل فلاوقف على (العذاب) لأن ما بعده مفعول يرى ، ولايجوز الفصل بين الفعل ومفعوله .

وعلى مستوى الدلالة المعجمية : (وهي قرينة دلالة معجمية) .

فقد اختلفوا في دلالة الفعل (يرى) فأتى على الفارسي وأبو عبيدة^(١) يريان أن (يرى) من رؤية العين ، وعلى ذلك فهي تنصب مفعولاً واحداً هو ما أنسبك من أن وما بعدها ، على حين يرى الأخفش^(٢) والزجاج^(٣) أن (يرى) بمعنى يعلم ، وقوله (أن القوة لله) سدت مسد مفعولى يرى ،

وبناء على هذه القراءة وإلى ضوء القرائن السابقة يكون معنى الآية :

ولو يرى الذين ظلموا حين يرون العذاب كون القوة لله جميعاً ، وأنه شديد العذاب (وجواب الشرط محذوف) تقديره : لراوا أمراً جليلاً ، ولما اتخفوا من دونه أنداداً لا تضر ولا تنفع^(٤) .

الوجه الثاني : ﴿ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله تعالى : ﴿ إن القوة لله جميعاً وإن الله شديد العذاب ﴾ .

ويلاحظ هنا :

- أن الفعل (يرى) بالياء أى بصيغة اللبية كذلك ، كما في الوجه الأول .

(١) انظر المحي ٢٧٩/٢ ، واكتشف من أوجه القراءات ٢٧٩/١/٢٧٢ .

(٢) انظر معاني الأخفش ١٥٣/١/١٥٦ .

(٣) انظر معاني الزجاج ٢٢٨/١ .

(٤) انظر تفسير القرطبي ١٣٧/١/١٢٨ ، وتفسير الزاوي ٢٣٥/٢ ، واليعرب المحيط ١٧١/١ واكتشف لحي ٢٧١/١ .

- أن همزة (إن) الأولى والثانية مكسورة .

وعلى مستوى إعراب هذا الوجه :

ولو يرى الذين ظلموا : (كإعراب الوجه الأول) : عاطف + أداة شرط
+ فعل + فاعل + جملة صلة .

إذ يرون العذاب : إذ : ظرف مفعول يرى + جملة مضافة لإذ : فعل +
فاعل + مفعول

إن القوة لله جميعاً : جملة استئنافية (ناسخ + اسمه + خبره + حال) .
وإن الله شديد العذاب : جملة معطوفة : عاطف + ناسخ + اسمه +
خبره + مضاف إليه .

وعلى مستوى الوقف :

فقد تم الوقف جوازاً على (العذاب) ، والكلام بعده مستأنف^(١).

وعلى مستوى الدلالة :

يكون معنى الآية تبعاً لهذا الوجه : ولو يرى الذين ظلموا عجزهم حال
مشاهدتهم عذاب الله . (والجواب محذوف) تقديره : لقالوا : إن القوة لله
جميعاً ، وإن الله شديد العذاب^(٢).

الوجه الثالث : تقر هذه الآية : « ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب » هنا
وقف ثم يبدأ بقوله : « إن القوة لله جميعاً » ، وإن الله شديد العذاب » .

(١) راجع الإيضاح ٥٢٨ ، النشر ٢٢٤/٢ ، والطبع ١٧٢/١٧ ومعار الهدى ٥٢/٥٢ ، والتكفي .

(٢) راجع معاني الفراء ٩٨/٩٧/١ ، والكشاف ٢٢٦/١ ، والفريسي ١٢٨/١ وتفسير الرازي ٩٢/٢ .
والبصر المحيط ٤٧٩/١ ، ومعاني الزجاج ٣٢٨/١ ، ٣٢٩ ، ومعاني الأظفش ١٥١/١ ، ١٥٢/١ .

ويلاحظ هنا ما يلي :

- ١ - أن الفعل (ترى) بالتاء أي بصيغة الخطاب ، وهو موجه للرسول ﷺ .
- ٢ - أن همزة (إن) الأولى والثانية مكسورة كالوجه السابق مباشرة وعلى مستوى الإعراب .

ولو ترى الذين ظلموا : عاطف + أداة شرط + مضارع + قاعل مستتر تقديره أنت (يا محمد) + مفعول (اسم موصول) + جملة صلة .

إذ يرون العذاب : إذ : ظرف + جملة مضافة لإذ .

إن القوة لله جملة : جملة استئنافية (ناسخ + اسم + خبره) + حال .

وإن الله شديد العذاب : جملة معطوفة (عاطف + ناسخ + اسم + خبره + مضاف إليه) .

وعلى مستوى الوقف : يجوز الوقف على (العذاب) لأن ما بعده مستأنف^(١).

وعلى مستوى الدلالة :

فإن المعنى في الوجه الثالث : ولو ترى يا محمد الظالمين حين يرون العذاب ، (وجواب لو محذوف تقديره : لقلت) : إن القوة لله جميعاً ، وإن الله شديد العذاب .

وعلى الوجه الرابع : تقرأ هذه الآية : ﴿ ولو ترى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ﴾ هنا وقف ثم يبدأ بقوله : أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب .

(١) راجع مشكل مكى ١/٢٧٦/٢٧٣ ، والتهذيب ١/١٢٢/١٢٤ .

وبلاحظ هنا ما يلي :

١ - أن الفعل (ترى) بالتاء أي بصيغة الخطاب كما في الوجه الثالث وهو موجه للرسول ﷺ .

٢ - أن همزة (أن) الأولى والثانية مفتوحة كما في الوجه الأول .

وعلى مستوى الإعراب :

ولو ترى الذين ظلموا إذا يرون العذاب : كالوجه الثالث : (عاطف + أداة شرط + فاعل مستتر تقديره أنت (يا محمد) + مفعول (اسم موصول) + جملة صلة + ظرف + جملة مضافة للظرف .

أن القوة لله جميعاً : ناسخ + اسمه + خبره + حال ، والمصدر المنسبك منها مفعول لفعل محذوف تقديره ترى أو المصدر المنسبك مفعول ثانٍ لترى الأولى (عند من جعلها تنصب مفعولاً) .

وأن الله شديد العذاب : جملة معطوفة (عاطف + ناسخ + اسمه + خبره + مضاف إليه) .

وعلى مستوى الدلالة :

فإن معنى الآية على الوجه الرابع : ولو ترى يا محمد الذين ظلموا حين يرون العذاب ، ترى أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب . هذا لمن قدر (ترى) محذوفة قبل (أن القوة) . أما من لم يقدر فالمعنى : ولو ترى يا محمد الذين ظلموا حين يرون العذاب وكون القوة لله جميعاً ، وكونه شديد العذاب . والجواب في كل ذلك محذوف تقديره لرأيت أمراً عظيماً أو ما شاكل ذلك من تقدير .

في ضوء المثال السابق يتبين مدى تضافر القرائن المتنوعة في توجيه المعنى مثل :

- ١ - قرينة الوظيفة النحوية التي تمثلت في اختلاف إعراب (الذين) ما بين الفاعلية والمفعولية ، واختلاف وظيفة المصدر المنسبك من (أن وما دخلت عليه) بين المفعولية لـ (ترى) الأولى ، أو المفعولية لـ (ترى) محذولة .
- ٢ - قرينة الصيغة : وتمثلت في صيغة المخاطبة (ترى) وما اقتضته من فاعل مستتر وصيغة الغيبة (يرى) وما اقتضته من فاعل ظاهر (الذين) .
- ٣ - قرينة الوقف على (العذاب) الأولى واعتبار ما بعد ذلك استثناء ، أو عدم الوقف عند اعتبار المصدر المؤول بعد (العذاب) مفعولاً للفعل قبله (يرى) .
- ٤ - قرينة الحذف وتمثلت في تقدير فعل محذوف (ترى) قبل المصدر المنسبك في الوجه الرابع ، وكذلك تقدير جواب لو محذوف في أوجع التخريجات .
- ٥ - قرينة الدلالة المعجمية وتمثلت في تغير دلالة (ترى) هل هي بمعنى تبصر فتقتضى مفعولاً واحداً ، أم هي بمعنى تعلم فتقتضى مفعولين ، والفاعل الممكنة هي (الذين) ، و (إذ) ، و (المصدر المنسبك) . فإذا كان الأخير معمولاً (لترى) الأولى امتنع الوقف على (العذاب) وإذا كان معمولاً لـ (ترى) المحذولة ، جاز الوقف على (العذاب) ولكل من ذلك معنى يفاير صاحبه .

وليس من شك في أن كل قرينة من القرائن السابقة تلعب دوراً في توجيه المعنى تشارك به مع الأنوار التي تلعبها بقية القرائن في هذا

الترجيحية ، بحيث نجد الوقف عنصراً من بين عناصر أخرى تشاركه نفس الخاصية في التأثير على معنى التركيب المعين .

٣ - ٣ - وهذا مثال أخير لاجتماع أكثر من قرينتين فسخلاً عن الوقف في التأثير على الدلالة التركيبية وتمثلت هذه القرائن في الوقف والوظيفة النحوية والدلالة المعجمية والرتبة .:

ففي قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون في العلم يقولون أمنا به ﴾ [سورة آل عمران ٧] . تقرأ الآية السابقة على ثلاثة الأوجه التالية :

الوجه الأول : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله ﴾ هنا وقف تام ، ثم يتبدأ بقوله : ﴿ والراسخون في العلم يقولون أمنا به ﴾ .

وعلى مستوى الوظائف النحوية لوحدات هذه الآية نجد .

والراسخون في العلم يقولون : وار استئنافية + (الراسخون) : مبتدأ + شبه جملة متعلق باسم الفاعل + جملة فعلية (فعل + فاعل) خير المبتدأ .
أمنا به : جملة فعلية (فعل + فاعل) مفعول به (مقول القول) + شبه جملة متعلقة بالفعل .

وعلى مستوى الدلالة المعجمية :

فإن دلالة كلمة (تأويله) : تعنى إما المتشابه من القرآن أو البعث أو المنسوخ من القرآن .

أما على مستوى الوقف : فيجب الوقف على (إلا الله) دفعاً لتوهم أن يكون (الراسخون) عالمين بتأويل القرآن على أى معنى من المعانى الثلاث المشار إليها وهذا هو رأى الجمهور .

ويكون المعنى في ضوء القرائن السابقة : فلا يعلم متشابه القرآن أو البعث أو المتسوخ منه إلا الله ، أما الراسخون في العلم فيقولون : أمنا به .
الوجه الثاني : ﴿ وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ﴾ هنا وقف ثم يبتدأ بقوله : ﴿ يقولون أمنا به ﴾ .
فعلى مستوى الإعراب تجد :

والراسخون في العلم : الواو عاطفة + معطوف على لفظ الجلالة + جار ومجرور متعلق باسم الفاعل .

يقولون : مضارع + فاعله (والجملة في محل نصب حال من (الراسخون) : أي قائلين وهذا على نحو قول الشاعر :
الريح تيكى شجورها
والبرق يلمع في الغمامة

فيجوز أن يكون البرق معطوفاً على الريح ، ويلمع (جملة حال) كما يجوز البرق مبتدأ + يلمع (جملة خير)^(١) ، على نحو ما سبق في الوجه الأول من قراءة الآية .

أمنا به : جملة فعلية مقول القول في محل نصب + جار ومجرور متعلق بالفعل آمن .

وعلى مستوى الدلالة المعجمية :

فإن كلمة (تأويله) مقصود بها هنا : تفسير القرآن الكريم .

وعلى مستوى الوقف :

(١) انظر القوطي ١٢/١٢/٢ ، وإعراب النحاس ٣١١/١ ، وشكل مكى ١٤٩/١ والبيان في إعراب القرآن ١٩٢/١ واللمح ٢١٢/٢١٢ .

فيكون الوقف على (في العلم) ولا يجوز أن نقف على (إلا الله) لتلا
 تفصل بين المعطوف عليه (لفظ الجلالة) والمعطوف (الراسخون)^(١) . ومع
 أننا بالوقف على قوله : (في العلم) نفصل بين صاحب الحال (الراسخون)
 والحال (يقولون) وبه يكون الوقف غير تام ، فإننا نقف وقف بيان لنفخ
 توهم أن (يقولون) خبر لـ (الراسخون) وهو غير المقصود طبقاً لهذا الوجه
 من التخريج .

وفي ضوء القرائن السابقة فإن معنى هذه الآية على هذا الوجه :
 فلا يعلم تكويل القرآن إلا الله . ويعلمه الراسخون قائلين أمنا به^(٢) .

الوجه الثالث : وفي قراءة ابن مسعود وأبي^(٣) : « وما يعلم تأويله إلا
 الله » هنا وقف ويبدأ بقوله : « ويقول الراسخون في العلم أمنا به » .
 وعلى مستوى الإعراب :

ويقول الراسخون في العلم : الواو للاستئناف + فعل + فاعل + جار
 ومجرور متعلق باسم الفاعل .

أمنا به : جملة مقول القول + شبه جملة متعلقة بـ (آمن) .

وعلى مستوى الوقف :

يجب الوقف على (إلا الله) لنفخ توهم المعطف بين لفظ الجلالة وبين
 (الراسخون) وطبقاً لهذا الوجه لما بعد الوقف مستأنف منفصل عما قبله .

(١) راجع للمكتبي ١٩٤/١٩٥ . إيشاح الوقف « ٦٥ » القطع ٢١٢/٢١٣ .
 (٢) إيشاح الوقف « ٦٥ » ، والبيان ١٩٢/١ ، ومعاني القراء ١٩١/٦ ومعاني الزجاج ٢٨٧/١ .
 والتكشاف ١١٣/١ ، والقرطبي ١٣/٢ .
 (٣) القراء ١٩١/١ ، والبيان ١٩٢/١ وإيشاح الوقف « ٦٥ » .

وعلى مستوى ترتيب الجملة (قرينة وثبة) نجد :

ويقول الراسخون : فعل + فاعل أو مسند + مسند إليه (الوجه الثالث) .

والراسخون يقولون : مبتدأ + جملة خبر أو مسند إليه + مسند (الوجه الأول)

والفروق في المعنى كما هو معروف : التركيز على الحدث والاهتمام به طبقاً للقراءة في الوجه الثالث أما في الترتيب الثاني فالتركيز والاهتمام على القائل (الراسخون) كما في الوجه الأول من القراءة .

وفي ضوء القرائن السابقة يكون المعنى في الوجه الثالث : فليس يعلم مشكل القرآن إلا الله ، على حين يقول الراسخون في العلم أمنا به ، أو على حين أن الراسخين في العلم يقولون أمنا به .

معاسيق يتبين مشاركة كل قرينة وقيامها بدور في التوجيه النهائي للمعنى ، وتعتلت القرائن المشاركة في هذا التأثير فيما يلي :

١ - قرينة الوظيفة النحوية : فالراسخون إما مبتدأ أو معطوف أو فاعل .

وجملة يقولون : إما خبر أو حال ، وبصفة الأفراد (يقول) كما في القراءة الثالثة فهي (مسند) .

٢ - قرينة وقف : وهو إما على قوله (الله) فيمتنع مشاركة (الراسخون) لله في التأويل ، أو أن يكون الوقف على (في العلم) فيشاركونه العلم به .

٣ - قرينة الدلائل المعجمية ، فالتأويل إما التفسير فيجوز أن يشارك (الراسخون) الحق في العلم به ، وإما المتشابه أو البعث أو منسوخ القرآن فلا يشاركونه العلم به .

٤ - قرينة الرتبة : وبها يتبين أن ترتيب الوحدات هو والراسخون في العلم يقولون أو يقول الراسخون في العلم ، وعلى الترتيب الأول يمكن الوقف على (في العلم) طبقاً للوجه الثاني أو القراءة الثانية ، ويمكن ألا نقف طبقاً للوجه الأول أو القراءة الأولى ، على حين أن الترتيب الثاني يعتنع معه الوقف على (في العلم) حتى لا تنفصل بين الفعل (يقول) والمفعول (أمثاله) .

وفي ضوء القرائن السابقة وتأثيرها على دلالة التركيب ، اختلفت هذه الدلالة من وجه لأخر على نحو ماسبق بيانه .

وفي ضوء النماذج المتقدمة التي سبق تناولها يتضح أن الوقف قرينة سياقية هامة لها نفس التأثير الذي تقوم به كل القرائن السياقية اللفظية منها والمعنوية في تحديد معنى التركيب وتوجيهه . وهو بذلك قسيم لهذه القرائن ، وكما أننا نلمح بالعلامة الإعرابية الدور الذي تؤديه الوحدات داخل التركيب ، والوحدات التي تقوم بها ، والمعنى المقصود من التركيب ، فإننا بالوقف يمكن أن نصل إلى نفس الأمر . وأحياناً تعجز قرينة واحدة من القرائن عن توجيه المعنى وتحديدده ، الأمر الذي يجعل من فلسفة تضافر القرائن في تحديد المعنى . ومن بينها الوقف وجهة نظر أكثر دقة في فهم الدور الذي تلعبه قرائن السياق المختلفة في التأثير على المعنى . وهو ما يجعل التركيز على بعض القرائن (كالعلامة الإعرابية) مثلاً . وإعمال البعض كالنبر والتنغيم والوقف مجافياً لطبيعة الدور الذي تلعبه منظومة القرائن المختلفة اللفظية منها (كالنبر والتنغيم والوقف والعلامة الإعرابية والصيغة ، والرتبة ... الخ والمعنوية ، كالإستاد ، والتخصيص والنسبة والتبعية ... الخ .

واعتماد الوقف قرينة لفظية بالرغم من أننا لا ننطق شيئاً مع هذا الفونيم فوق المقطع ، إلا أن عدم النطق في حد ذاته يمثل قيمة يقوم بها الوقف وهو هنا يُعرف بـ المورفيم الصغرى^(١) Zero morpheme ، وله معنى لا يقل خطراً من الوحدة الصوتية المنطوقة بالفعل ، كما أن سكوت اليكسر يقابل قول الشيب أوافق ، في الدلالة على قبول الزواج ، قالقاري كما سبق في البحث حين يقف في موضع فإن السامع يفهم من الوقف معنى لا يفهمه بالوصل ، وذلك يماثل الفرق بين ما يفهمه السامع حين تنشط كلمة (عارف) بالضمّة أو الفتحة

جاء عارف - جاء عارفاً

أو ما يفهمه السامع من ترتيب الجملة الأولى على نحوين مختلفين

جاء عارف - جاء عارف جاء

فالوقف قرينة لفظية (مدمية أو سلبية) تماثل القرائن اللفظية (الإيجابية) أي المفردة فعلاً ، فيما تقوم به هذه وتلك من دور في توجيه المعنى والتأثير عليه على نحو ما أوضح هذا البحث .

(١) انظر اللغة الفصحى ص ١٦٠ .

الخاتمة

إن الحديث عن النظريات في أي مجال معرفي أمر شائق ومثير ، ولا أحسب أنه يغيب عن أحد أن الإقناع بالافكار النظرية ليس صعباً على أي منظر ، ولكن ما أعصى تحويل المفاهيم النظرية إلى واقع صلي ، ولجميع الأمم قديماً وحديثاً أراها في كل الجوانب المعرفية ومنها اللغة ، وبرغم كثير من النظريات في اللغة ، فإن القليل هو الذي استطاع أن يكشف عن قدرة حقيقية في التعامل مع الواقع العملي للممارسة اللغوية ، سواء بتفسير النظام اللغوي أو فهم كيفية أدائه لوظيفته حين يتعامل مع المواقف العملية ، فليس صعباً أن أصف عناصر النظام اللغوي ، بقدر ما يعني أن أفهم الدور الذي تقوم به أو الوظيفة التي يؤديها كل عنصر على حده ، والدور الذي تؤديه كل عناصر المنظومة معاً حين تتعالق وتنتصهر معاً في بوتقة النظام اللغوي ، وفي ضوء ما أتيت للعلماء العرب قديماً من وسائل فقد أفلح علماءهم في أن يفتنوا على مدى ما وصلوا إليه من تضييق في فهم الآلية التي تعمل بها اللغة ، والدور الذي تلعبه العناصر المختلفة في أداء اللغة لوظيفتها .

وبرغم التقدم العلمي الهائل الذي استطاعت علوم اللغة المختلفة أن تحققة مستغيدة بكل من منجزات عصرنا من أدوات علمية ووسائل منهجية في الدراسة والبحث ، فإن هذا البحث استطاع أن يكشف عن فهم علمي دقيق سجله العلماء العرب لتحقيق الدور الذي تلعبه ظاهرة صوتية هي الوقف في التأثير على دلالة التركيب ، ولم يقف هذا الإنجاز عند مجرد وصف الظاهرة وصفاً نظرياً ، وبيان موقعها من بين عناصر النظام الصوتي لغة أحد أنظمة اللغة الأساسية ، بل تجاوز فعلهم إلى رصد الدور الذي تؤديه هذه الظاهرة من

خلال النصوص الحية . أجل لم يتم فريق منهم بهذا العمل وحده ، بل تمثل القراءة الشاملة لجمل معالجتهم للنصوص حقيقة ما قاموا به . وهو أمر يعنى أننا من خلال فهم جهد علماء الوقف إلى جهد علماء اللغة والنحو ، إلى جهد علماء التفسير ، إلى جهد علماء البلاغة يمكن أن نحصل على صورة متكاملة لهذا التصور الذى امتلكوه وسجلوه بالفعل من حقيقة الوقف وأثره على المعنى .

وسعيًا وراء فهم هذا الدور ووجد ذلك الأكثر جاء هذا البحث ليغطي جانبين أحدهما الفهم النظرى الذى تحقق من العناية الفائقة والميكرة بهذه الظاهرة وتسجيل هذا الفهم بوضوح وجملاء ، إذا الوقف عندهم مرتبط أساساً بالمعنى وهو ما ندعاهم إلى تحديد مفهومه وبيان أنواعه . فضلاً عن تسجيل الفروق الدقيقة بينها ، ولم ينلهم لهم البحث بكل ما قالوه عن ذلك بل ناقش ذلك معهم ، وأبان عن سلامة التفريق بين هذه الأنواع ، وعن عدم دقة التطبيق الأمر الذى اقتضى إعادة تحديد الأنواع بشكل يسمح بوضع خصائص لكل منها أكثر دقة .

كما أشار البحث إلى أن وضع علامات لأنواع الوقف كوقوع بعض أنواعه قبل مبتدأ أو قسم أو ياء نداء أو ما شاكل ذلك من وحدات هو أمر مضلل ، لأن المعول عليه هو المعنى ، مما يجعل إمكانية اشتراك أكثر من نوع فى بعض العلامات التى وصفوها أمراً قائماً .

ومما سجله البحث فهمهم الدقيق لارتباط الوقف بفكرة التزام بين الوحدات أو العلاقات التركيبية بين الوحدات ، وبالوقف يتم إعادة تنظيم لهذه

العلاقات يترتب عليها قيامها بوظائف معينة وفي ضوء ذلك يتغير معنى التركيب .

وفي ضوء ما سبق جرح البحث أن يحدد المقصود بالدلالة التركيبية من بين أنواع الدلالات الأخرى ، سواء المرتبط منها بالكلمة المفردة أم المرتبط منها بالعلاقات التركيبية ، أم المرتبط منها بالنص ، يحدد من بينها ما هو مقصود بالدلالة التركيبية .

أما الجانب الثاني الذي غطاء هذا البحث فهو رصد التأثير الذي يلعبه الوقف في توجيه الدلالة التركيبية سواء أكان ذلك ناتجاً عن قرينة الوقف وحدها أم بمشاركة قرينة أخرى أو قرينتين فأكثر . وقد مثل هذا الشق من البحث الجانب التطبيقي الذي يعكس فهم العلماء العرب لتطور هذه الظاهرة في توجيه المعنى ، وهو فهم عملي لأنه ظهر في معالجة النصوص وتقليبها على الأوجه المختلفة . ولعل هذا البحث أن يكون أول بحث يعرض لقيمة ظاهرة صوتية وأثرها على البنية التركيبية بشكل تطبيقي ، ويكشف عن توظيف عملي لهذه الظاهرة بعد أن طال حديثنا النظري عن الظواهر الصوتية ، نون أن تلمس ذلك على مستوى الممارسة والتطبيق .

وتأتي أهمية ذلك في كونه دعوة إلى قراءة من أجل فهم اللغة وليس مجرد نطقها نطقاً سليماً من الناحية اللغوية أو النحوية ، قراءة هدفها المعنى ، الأمر الذي يتيح للدارسين استكمال الوظائف التي تؤديها عملية تعليم اللغة ، فليسنا نتعلم اللغة من أجل أن نقرأها ونكتبها فحسب وإنما من أجل أن نحسن فهم ما نقرأ . ولا شك أن توظيف الوقف في القراءة هو آلية منهجية دقيقة

تعين الدارسين على تدريب الملكة اللغوية لديهم على إدراك العلاقات التركيبية بين الوحدات وما يترتب على ذلك من دلالة ، وبذلك يكون الوقف ذا قيمة كبرى في التنبيه إلى دلالة التركيب لاثقل أثراً عن قرينة العلامة الإعرابية والوظيفية النحوية التي ينفق طلابنا جل جهدهم لتحصيلها وإتقانها . وأذكر مثلاً أنه في ضوء قرينة الوقف وبالتعاون مع قرينة الأداة تبع أننا يُسنُّ لنا أن نسجد في موضع معين لايحوز لنا أن نسجد عنده في ضوء قراءة أخرى ووقف آخر . وقد يتحول بالوقف المعنى من الأمر إلى النهي أو من الحسن إلى القبح أو من الجواز إلى الحرمة ، أو من استقامة المعنى إلى فسادة ، وهي تأثيرات لا يستطيع أحد أن يغفلها في فهم النص الذي يقرأه أو يقرئه أحداً من الناس .

وإذا كان طعننا القداماء قهوماً ذلك وما رسوه تطبيقاً فليس منهجنا في العناية ببعض الظواهر اللغوية نون بعض بسند سواء على مستوى الدراسة العلمية الميدانية ، أم على مستوى تعليم اللغة ، ولعل هذا البحث أن يكون أحد هذه البحوث التي نيهت إلى قيمة ظاهرة لغوية هامة على مستوى الدراسة العلمية ، وأن يكون لذلك أثره على مستوى العملية التعليمية بالفعل .

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- إبراهيم المعاني من خزنة الآسماني أبو شامة الدمشقي
ت : إبراهيم عطوة عوض
مطبعة مصطفى البابي الحلبي
- الأحكام في أصول الأحكام الأمدى : سيف الدين أبو الحسن
ط: دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٣ .
- إعراب القرآن أبو جعفر النحاس
ت: زهير غازي زاهد
مكتبة المعاني - بغداد ١٣٩٧/١٩٧٧
- الإنصاف في مسائل الخلاف أبو البركات بن الأنباري
ت : محمد محي الدين عبد الحميد
دار إحياء التراث العربي ط ٤ ١٩٦٦
- إيضاح الوقف والابتداء أبو بكر بن الأنباري
ت : محي الدين رمضان مطبوعات مجمع
اللغة العربية - دمشق
- البحث الحلال عند الأصوليين محمد حياص
عالم الكتب - القاهرة - ١٩٩١
- البحث اللغوي عند الفقه أحمد مختار عمر
دار الثقافة - بيروت ١٩٧٢
- البحار المحيطة أبو حيان الأندلسي
دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩٢

- اليهوديان في علوم القرآن
الزركشي
يسر الدين محمد بن عبد الله
ت : محمد أبو الفضل إبراهيم
مطبعة عيس البابي الحلبي ١٩٥٨
- بلاغة الخطاب وعلم النص
صلاح فضل
عالم المعرفة الكويت - أغسطس ١٩٩٢
- البيان في فريب إعراب القرآن
أبو البركات بن الأنباري
ت : عبد الحميد طه دار الكاتب العربي
للطباعة ١٣٨٩ - ١٩٦٩
- التبيان في إعراب القرآن
أبو البقاء العكبري
ت : علي محمد البجاوي
مطبعة البابي الحلبي
- تفسير الظهير : جامع البيان
محمد بن جرير الطبري
ت : محمود محمد شاكر
دار المعارف بمصر ١٣٧٤ هـ
- التفسير الكبير - مفاتيح الغيب
فخر الدين الرازي
ط : دار الكتب العلمية - بيروت
- تفسير النضوي
عبد الله الشافعي
ط : دار إحياء الكتب العربية
- التقريب لحد المنطق
ابن باجة : أبو بكر محمد بن الصنائع
ت : إحسان عباس
ط : دار مكتبة الحياة

- التجويد في علم التجويد
ابن الجوزي
أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي
ت : علي حسين البواب
م / المعارف - الرياض - ١٩٨٥
- التيسير في القراءات السبع
أبو عمرو الداني عثمان بن سعيد
منشئ بتصحيحه : أوتويرتزل
مطبعة الدولة - استانبول ١٩٣٠
- الجامع لأحكام القرآن
القرطبي أبو عبيد الله محمد بن أحمد
ط : مصر ١٣٥٤ - ١٩٣٩
وط : دار الكتب : ١٩٤٦ .
- الحجة في ملل القراءات السبع
أبو علي الفارسي
ت : علي النجدي ناصف وآخرين
دار الكتاب العربي بمصر
- الحواشن الأزهريّة في حل الفاظ
العقدمة الجزرية
الخصائص
ابن جني أبو الفتح عثمان
ت : محمد علي النجار
دار الكتاب العربي - بيروت
- دراسة الصوت اللغوي
أحمد مختار عمر
عالم الكتب - القاهرة - ١٩٨٥
- الدراسات الصوتية منذ علماء
التجويد
غانم قدوري الحمد
ط - بغداد ١٩٨٦

- دلائل الإعجاز
عبد القاهر الجرجاني
تصحيح : محمد رشيد رضا
دار المعرفة : بيروت ١٤٠٢ - ١٩٨١
- دلالة الألفاظ
إبراهيم أنيس
مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٢
- الدلالة الصوتية
كريم زكي حسام الدين
مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٩٢
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، الإمام الترمذي ، محمد بن عيسى بن
سورة ت : أحمد شاكر وآخرين
دار إحياء التراث - ١٩٦٢
- شرح على المقدمة الجزئية
ط : مطابع الفجر الحديثة - حمص
أبو يحيى زكريا الأنصاري
مطبعة الياض الطيب ١٣٦٧ - ١٩٤٨ م
- شرح المفصل
موفق الدين بن يعish
عالم الكتب - بيروت
- الشفاء (العبارة)
ابن سينا - الشيخ الرئيس أبو
الحسين بن عبد الله ت : محمد
الخصيري
الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة
١٩٧٠ م
- الصناعات
أبو هلال العسكري
ت : محمد علي البجاري
ومحمد أبو الفضل إبراهيم
دار إحياء الكتب العربية - ١٩٥٢

| | |
|-------------------------|--|
| الطراز | يحيى بن حمزة العلوي ط : المقتطف - مصر ١٩١٤ . |
| العبارة | أيو نصر القارايي ت : وكاتش ، س. مارو- بيروت : ١٩٦٠ |
| العربية معناها ومبناها | تمام حسان الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٩ |
| علم أصول الفقه | عبد الوهاب خلاف دار القلم للطباعة والنشر - ١٩٧٠ |
| علم الدلالة | أحمد مختار عمر دار العربية للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٨٢- |
| علم الدلالة | بيد جريد ترجمة : منذر عياشي دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ١٩٨٨ دمشق |
| علم الدلالة العربي | فايز الداية دار الفكر للطباعة والنشر - دمشق ١٩٨٥ |
| علم الدلالة عند العرب | عادل فاخوري دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٥ |
| علم النص ونظرية الترجمة | يوسف نود عوض دار الفقه للنشر والتوزيع - مكة المكرمة ١٤١٠ |

- القاسموس المحيط .
 الفيروزآبادي .
 مجسد الدين محمد بن يعقوب
 ط : دار الجيل - بيروت .
 سيبويه أبو بشر عمرو بن قنبر
 ت : عبد السلام هارون
 الهيئة المصرية العامة للكتاب ط ١٩٦٦/٩
 أبو جعفر النحاس
 ت : أحمد خياط المعمر
 ط : الأولى : مطبعة العائى - بغداد ١٣٩٨ -
 ١٩٧٨
 كتاب القطع والانتزاع
 كشف اصطلاحات الفنون
 التهانوى محمد على
 ط : كلكتا - الهند - ١٩٦٢
 الكشف من حقائق التنزيل
 الزمخشري أبو القاسم جاد الله
 ت : محمد الصادق قمحاري
 ط : البابى الحلبي ١٣٩٢ - ١٩٧٢
 الكشف عن وجوه القراءات السبع
 وعلمها وحججها
 مكى بن أبى طالب القيسى
 ت : محسن الدين رمضان
 مؤسسة الرسالة - بيروت : ١٤٠١ - ١٩٨١ .
 كلمات القرآن - تفسير وبيان
 اللغة - فندريس
 حسين محمد مخلوف بدون بيانات
 ت : عبد الحميد النواخلى ، محمد القصاص
 - الأجلو المصرية ١٩٥٠

| | |
|---------------------------------|---|
| المختصر في تبيين شواهد القراءات | ابن جنى أبو الفتح عثمان ت : طلي النجدي وآخرين القاهرة : ١٢٨٦ هـ |
| مختصر في شواهد القراءات | ابن خالويه مضى بنشره برجسته الطبعة الرجائية - مصر - ١٩٣٤ |
| المختصر في علم الأصول | الغزالي أبو حامد ط : دار صادر عن ط : بولاق ١٣٢٢ هـ |
| مشكل إعراب القرآن | مكي بن أبي طالب ت : حاتم صالح الضامن م : سلمان الأعظمي - بغداد ١٣٩٥ - ١٩٧٥ |
| معاني القرآن | الأخفش الأوسط : أبو الحسن سعيد بن مسعدة ت : فـاتز فارس ط : ٢ - ١٤٠١ - ١٩٨١ |
| معاني القرآن | الفراء أبو زكريا يحيى بن زياد ط ٣ - عالم الكتب ١٤٠٣ - ١٩٨٣ |
| معاني القرآن وإعرابه | أبو اسحق الزجاج ت : عبد الجليل شليبي جميع اللغة العربية |
| معجم الفاظ القرآن | ط : دار الشروق |

- المعنى عند الأعربيين
طاهر صبرة
الدار الجامعية للطباعة والنشر
-الإسكندرية ١٩٨٢
- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب
ابن هشام الأنصاري
ت : محمد محي الدين عبد الحميد
مكتبة ومطبعة صبيح
- المقصد لتلخيص ما فى المرشد
فى الوقف والابتداء
المكتفى فى الوقف والابتداء
أبو يحيى زكريا الأنصاري
ط : البابي الحلبي ١٣٩٢/١٩٧٣
- ت : يوسف المرعشلى
مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٤ -
١٩٨٤
- منار الهدى فى بيان الوقف
والابتداء
من أسس علم اللغة
أحمد بن محمد عبد الكريم الأشمونى
ط : البابي الحلبي ١٣٩٣/١٩٧٣
- ترجمة : أحمد مختار عمر
ط : عالم الكتب - القاهرة ١٩٨٢
- مناهج البحث فى اللغة
تمام حسان
ط : دار الثقافة - الدار البيضاء ١٩٧٩
- المنجى العسوية - شرح المقدمة
الجوزية
من أسرار اللغة
ملا على بن سلمان محمد القارى
ط : البابي الحلبي ١٣٦٧ - ١٩٤٨
- الأنجاسو المصرية ١٩٨٥
إبراهيم أنيس

- من وظائف الصوت اللغوي
النحو والدلالة
أحمد كشك م/ المدينة المنورة ١٩٨٣
محمد حماسة عبد اللطيف
م المدينة المنورة - القاهرة - ١٤٠٣ -
١٩٨٣
- النشر في القراءات العشر
ابن الجوزي
أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي
ت : علي محمد الصباغ
دار الكتب العلمية - بيروت .

النهج

- ٧ - ١١ مقدمة
- ١٣ - ٩٠ الباب الأول : أطر معرفية
- ١٥ - ٢٥ الفصل الأول : المقصود بالوقف والابتداء
- بين النبر والتنظيم والوقف ١٦ ، مدخل تاريخي ١٩ ، مفهوم القطع والوقف والسكت ٢٤ .
- ٢٩ - ٥٢ الفصل الثاني : أنواع الوقف والابتداء
- الوقف الاختياري والاضطراري ٢٩ ، التقسيمات المختلفة لأنواعه ٣٠ ، أشهر التقسيمات ، التقسيم الرباعي : تام ٣٠ ، كاف ٣١ ، حسن ٣٢ ، قبيح ٣٣ ، التقسيم الثلاثي : تام ٣٥ ، حسن ٣٦ ، قبيح ٣٦ ، تعليق على التقسيمين الخالفين ٣٦ ، وقف البيان ٤٥ ، تام للبيان ٤٥ ، كاف للبيان ٤٧ ، حسن للبيان ٤٧ ، بين علامات الوقف وعلامات الترقيم ٤٩ ، الابتداء ٥٠ ، الابتداء التام ٥٠ ، الابتداء الكافي ٥١ ، الابتداء الحسن ٥١ ، الابتداء القبيح ٥١ .
- ٧٤ - ٥٥ الفصل الثالث : مفهوم الدلالة التركيبية
- أنواع الدلالة عند القدماء ٥٥ ، عند الهنود ٥٥ ، عند الفلاسفة العرب ٥٨ ، عند الأصوليين ٦١ ، عند المحدثين ٦٥ ، الدلالة المعجمية ٦٥ ، الدلالة التركيبية ٦٧ ، دلالة النص ٧٠ .

الفصل الرابع : نظرية التلازم

٧٧ - ٩٠

مفهوم التلازم ٧٧ ، حصر المتلازمات ٧٨ ، ملاحظات على نص ابن الأثير ٨١ ، المتلازمات القوية ، الفصل بين المتلازمات القوية : الفصل بين المضاف والمضاف إليه ، الفصل بين الراجع والمرفوع ٨٣ ، الوقف على الموصول دون الصلة ، الوقف على الناسخ دون المنسوخ الوقف على أدوات الشرط والاستفهام والجحد والنصب والجزم دون معمولاتها ٨٤ ، الوقف على المميز دون التمييز ٨٥ ، حكم الفصل بين الحال وصاحبه ٨٦ . متلازمات الطائفة الثانية ٨٦ ، الوقف بين النعت والمنعوت ، الفصل بين المستثنى منه والمستثنى ، الوقف بين المبدل منه دون البديل ، الوقف على الناصب دون المنصوب ٨٧ ، الفصل بين المؤكد دون التأكيد الوقف على المنسوق دون ما نسقته عليه ، الوقف على المقسم دون المقسم به ٨٨ ، الفصل بين حروف المعاني وما يليها ٨٩ .

الباب الثاني : أثر الوقف على الدلالة التركيبية

٩١ - ١٧٩

الفصل الأول : أثر الوقف المباشر

٩٣ - ١٠١

وقف يدفع توهم البدلية ٩٤ ، وقف يدفع توهم المفعولية ٩٥ ، وقف يدفع توهم الوصفية ٩٦ ، وقف يدفع توهم الحالية ٩٧ ، وقف يدفع اللبس في عود الضمير ٩٨ ، وقف يدفع توهم المشاركة في الحكم أو العامل ٩٩ ، وقف يدفع توهم العطف ١٠٠ .

١٥٥ - ١٠٥ الفصل الثاني : أثر الوقف مع قرينة أخرى

اجتماع الوقف مع قرينة العلامة الإعرابية ١٠٦ ، اجتماع
الوقف مع قرينة الصيغة ١٣٦ ، اجتماع الوقف مع قرينة
الأداة ١٣٦ ، الوقف مع الوظيفة النحوية ١٤٣ ، الوقف مع
قرينة الإسناد ١٤٩ .

١٧٩ - ١٥٩ الفصل الثالث : أثر الوقف مع قرينتين فأكثر

اجتماع الوقف مع العلامة الإعرابية والصيغة ١٥٩ ، الوقف
مع العلامة الإعرابية والوظيفة النحوية ١٦٤ ، اجتماع الوقف
والصيغة والوظيفة النحوية والحذف ١٦٦ ، اجتماع الوقف
والوظيفة النحوية والصيغة والحذف والدلالة المعجمية ١٦٨ ،
اجتماع الوقف مع الوظيفة النحوية والدلالة المعجمية
والرتبة ١٧٤ .

١٨٦ - ١٨٣ الخاتمة

١٩٧ - ١٨٩ المصادر والمراجع